Iraqi society and its personality Between material trends and its value system-Read on critical anthropology

Dr. Ahmed Abd Al-Rada Al-Hasany
College of Arts University of Baghdad
E; ahmeddalhasany@gmail.com

Abstract;

We did this study to find out some of the visions and readings that were adopted by Al-Wardi, Ibrahim Al-Haidari and Sayyar Al-Jamil, and to discuss some of its parts in criticism and analysis using the same methodology that was adopted by those researchers, including descriptive and critical analytical approaches, with the use of anthropological tools such as observation, participation, interviews and newsmen as well as sources and references Concerned with this topic, the study included an examination of some of the concepts related to the fabric and social structure of Iraqi society by presentation and analysis, with a brief review of some of the religious and ethnic components, as well as by concentration on al wardi, Al Jameel and Alhaidary discussing , adoptions that constitute the methodological pillar of the research, bearing in mind that some of the transmitted texts and opinions were not repeated and the reference to their sources being known and attributed to their sayers, and therefore it was indicated that these hypotheses and opinions have been reviewed and written down by a group of their writings and sources Popular among our scientific and academic circles, as in the literature of Al-Wardi in his (Social Glimpses) , and a (study in the nature of Iraqi society) and before him (the Iraqi character), and therefore it must be noted. Our current study is in the midst of its discussion and criticism of some of the proposals presented in its body (noting that the comments contained in the body of the study and the discussion of some texts have been placed between two "brackets") as they were adopted alongside the material dimension the ethical aspect that is one of the personal and structural features of the study community with Note the blame from the social heritage that was attributed to our Islamic civilization.

Keywords: Personality, Value system , Ethnicity , race , Social structure

ألمجتمع العراقي وشخصيته بين الاتجاهات المادية ومنظومته القيمية قراءة في الانثروبولوجيا النقدية

د احمد عبد الرضا الحسني

جامعة بغداد- كلية الاداب

قسم علم الاجتماع

الملخص:-

جاءت هذه الدراسة للوقوف على بعض الرؤى والقراءات التي تبنيت من قبل الوردي وابراهيم الحيدري وسيار الجميل ، ومناقشة بعض من جزئياتها نقدا وتحليلا مستعينة بنفس المنهجية التي اعتمدها اولئك الباحثون ومنهما المنهجين الوصفي والنقدي التحليلي ، مع استخدام الادوات الانثروبولوجية كالملاحظة بالمشاهدة والمشاركة والمقابلات والاخباريين فضلا عن المصادر والمراجع المعنية بهذا الموضوع ، وقد تضمنت الدراسة الوقوف على بعض من المفاهيم المتعلقة بالنسيج والبنية الاجتماعية للمجتمع العراقي عرضا وتحليلا ،مع استعراض موجز لبعض من المكونات الدينية والعرقية ، فضلا عن التركيز على مناقشة متبنيات الوردي والجميل والحيدري والتي تشكل الركيزة المنهجية للبحث ، مع مراعاة ان بعض النصوص المنقولة والاراء المطروحة لم يتم وتكرارها والأشارة الى مصادرها كونها باتت معروفة ومنسوبة الى قائليها ، ولذا تمت الاشارة الى ان هذه الفرضيات والآراء قد إستعرضتها ودونتها جملة من مؤلفاتهم ومصادرهم المشهورة بين أوساطننا العلمية والاكاديمية، كما في مؤلفات الوردي في لمحاته، ودراسة في طبيعة المجتمع العراقي وقبله الشخصية العراقية ، ولذا وجب التنويه لذلك . ان دراستنا الحالية وفي مصاف مناقشتها ونقدها لبعض الطروحات الواردة في متنها (مع ملاحظة ان التعليقات الواردة في متن الدراسة ومناقشة بعض النصوص قد وضعت بين هلالين "قوسين")فهي اعتمدت الى جانب البعد المادي الجانب القيمي والأخلاقي التي هي من السمات الشخصية والبنيوية لمجتمع الدراسة مع ملاحظة اللّمم من الموروث الاجتماعي الذي نسب بهتانا الى الحضارة الاسلامية.

كلمات مفتاحية: الشخصية ، المنظومة القيمية ، الاثنية ، العرقية، البنية الاجتماعية

المقدمة :

إن الاختلاف الديني والعرقي واللغوي كان ضرورة الهية

إن إختلاف الأديان والأعراق وما تفرعت منهما من مذاهب وطوائف وملل ونحل وقوميات وإثنيات ، تمخض عنه ولادة حضارات ومدنيات شكلتها جملة سمات وميزات انفردت ببعضها ، واشتركت ببعضها الاخر مكونة صيرورة حضارية شكلت الانسان ببعديه المادي والمعنوي "الروحي" اللذين لعبا الدور الرئيس في رقي الحضارات تارة ،وتخلفها أخرى، ولهذا كان الانسان وماقدمه محور الكثير من النظريات والفرضيات التي حفلت بها المدارس، والمذاهب المعرفية ، والتي خرجت بتصورات ورؤى منها ما أصاب كبد الحقيقة ، ومنها ما جانبت الصواب ، ولقد كان لمجتمعاتنا العربية والاسلامية حصة الاسد من هذه الدراسات ، ولكن للأسف قرئت وكتبت بعيون الآخرين ، وهذا ما حصل في دراسة بنية المجتمع العراقي وشخصيته عندما انبرى جملة من المتخصصين العراقيين وفي مقدمهم الدكتور علي الوردي في تحليلاتهم وقراءاتهم التي بنيت على وفق الاتجاه المادي متجاهلين منظومتهم القيمية والاخلاقية .

ان كل الباحثين المحليين في عالمنا العربي والاسلامي ، وعند ذهابهم لأكمال دراساتهم العليا في الجامعات الغربية الامريكية والأوروبية ، يطلب منهم الكتابة عن واقع مجتمعاتهم القادمين منها على وفق المنهجية التحليلية النقدية،

ولذا جاءت الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية والسايكولوجية عن المجتمع العراقي وشخصيته تحاكي ما تريده المراكز البحثية وجامعاتها الغربية . ان الباحث العراقي يكتب دائما سواء اكان في الداخل أو الخارج عن مجتمعه ، وهذا هو من صلب العمل البحثي ومنهجيته اذا كان المراد منه الوقوف على جملة الاشكاليات ،والارهاصات التي تقف حجر عثرة وعائق امام النمو الاجتماعي والانساني ، ولكن المستغرب ان أي من اولئك الباحثين لم يقدم لنا اية دراسة اوبحث او حتى مقال يؤشر به الشخصية الانجلو سكسونية والالمانية والفرنسية ومن هي على شاكلتها ، وماهية مواطن خللها واضطرابها ، اللهم الا كتابة المديح والاطراء بها ، وهذا ما يتعارض والنهج القيمي الموضوعي في الابحاث والدراسات ، ناهيك عن ان المباحث التي كتبت تكاد تتطابق والرؤية البحثية وصورتها الضبابية المرسومة عن مجتمعنا ويكأن هذه الصفات من مقتنياته وموروثاته دون الطبيعة والجبلّة الانسانية. ولهذا جاءت هذه الدراسة النقدية لمراجعة جملة من النصوص البحثية الواردة عند بعض من اشتهر في نقد الشخصية والمجتمع العراق، "وكأنهم يبغون في توجيه القارئ علن ان مجتمعنا يمر بظروف اجتماعية من الصعب معالجتها وحلها الاّ بالتخلي عن منظومته القيمية والاخلاقية والتي يُرَوَج لها على إنها سبب هذا الاضطراب في السلوك والتنشئة الفردية والاجتماعية ، ولا يكون الحل الاّ باتباع مدرسة الليبرالية وعولمتها" دون الالتفات الى ما قدمته تلك المدرسة من تفكك اسري وانحلال مجتمعي وطبقية متوحشة على وفق نظامها الرأسمالي البراجماتي ، لذا جاءت هذه الدراسة للوقوف على بعض الرؤى والقراءات التي تبنيت من قبل الوردي وابراهيم الحيدري وسيار الجميل ، ومناقشة بعض من جزئياتها نقدا وتحليلا مستعينة بنفس المنهجية التي اعتمدها اولئك الباحثون ومنهما المنهجين الوصفي والنقدي التحليلي ، مع استخدام الادوات الانثروبولوجية كالملاحظة بالمشاهدة والمشاركة والمقابلات والاخباريين فضلا عن المصادر والمراجع المعنية بهذا الموضوع ، وقد تضمنت الدراسة الوقوف على بعض من المفاهيم المتعلقة بالنسيج والبنية الاجتماعية للمجتمع العراقي عرضا وتحليلا ،مع استعراض موجز لبعض من المكونات الدينية والعرقية ، فضلا عن التركيز على مناقشة متبنيات الوردي والجميل والحيدري والتي تشكل الركيزة المنهجية للبحث ، مع مراعاة ان بعض النصوص المنقولة والاراء المطروحة لم يتم وتكرارها والأشارة الى مصادرها كونها باتت معروفة ومنسوبة الى قائليها ، ولذا تمت الاشارة الى ان هذه الفرضيات والآراء قد إستعرضتها ودونتها جملة من مؤلفاتهم ومصادرهم المشهورة بين أوساطننا العلمية والاكاديمية، كما في مؤلفات الوردي في لمحاته ، ودراسة في طبيعة المجتمع العراقي وقبله الشخصية العراقية ، ولذا وجب التنويه لذلك . ان دراستنا الحالية وفي مصاف مناقشتها ونقدها لبعض الطروحات الواردة في متنها (مع ملاحظة ان التعليقات الواردة في متن الدراسة ومناقشة بعض النصوص قد وضعت بين هلالين "قوسين")فهي اعتمدت الى جانب البعد المادي الجانب القيمي والأخلاقي التي هي من السمات الشخصية والبنيوية لمجتمع الدراسة مع ملاحظة اللّمم من الموروث الاجتماعي الذي نسب بهتانا الى الحضارة الاسلامية.

الفصل الاول: الاجراءات المنهجية ومفاهيم الدراسة

١. أهمية الدراسة :

ان الاهمية المتحصلة في هذه الدراسة الوصفية التحليلية النقدية تتأتى كونها لم تأت في ركب الدراسات والابحاث التي تناولت المجتمع العراقي والشخصية العراقية. صحيح إن الظروف الإجتماعية والثقافية التي أحاطت بالبلد بفعل التغيرات السياسية التي مر بها في تاريخه المعاصر أبرزت الكثير من الاشكاليات القيمية والتي تتنافى مع العمق الحضاري للمجتمع العراقي ، غير انها لم تكن السبب الرئيس والمباشر في هذه الصيرورة الاجتماعية ، وهذا ما لم يتعرض له الباحثون موضع دراستنا ، فبمجموعهم جانبوا الوقوف على حقيقة البعد والعمق الحضاري الاسلامي للمجتمع العراقي ، لكنهم إذا مروا ببعض التقاليد الاجتماعية الموروثة نسبوها للقيمة الحضارية ، وهذا يتعارض مع اسس وأخلاقيات البحوث العلمية . ولذا تكمن اهمية البحث كونه وقف على جملة من المؤشرات والرؤى التي الصقت بالشخصية العراقية وبنيتها المجتمعية ، محاولة مناقشتها

وعرضها للقارئ ليتسنى له بيان ومعرفة أوجه الشبه من عدمه في الطبيعة البشرية وسماتها الشخصية والاجتماعية .

٢. مشكلة الدراسة : إن الإشكالية هي في الوقوف على الاشكاليات المطروحة ممن تصدى لقراءة وتوصيف البنية الاجتماعية والشخصية العراقية بالمزدوجة (المنافقة) ، والمتناشزة (المتذبذبة) ، والصراعية العصبية(الجاهلية) ، ويكأنها سمات ينفرد بها الفرد العراقي ومجتمعه وجذورهما العربية والاسلامية دون الامم والشعوب على سطح الخليقة ، فهناك جملة من المشتركات التي تتوارثها الاجيال، فضلا عن المختلفات التي يفرضها المحيط والتنشئة الاجتماعية ، فالصدق والوفاء والامانة وغيرها من مصاديق الخير تعد من المحاسن التي تُجمع عليها كل الحضارات الانسانية ، بينما الخيانة والكذب والغدر والسرقة والزنا وغيرها من الشرور هي ايضا من المشتركات التي تستقبحها المدنيات والحضارات الانسانية . ان هذه الفضائل والرذائل هي التي تشكل الشخصية الانسانية والاجتماعية، وهذا ما حاولت الدراسة الاحاطة الجزئية من خلال نقد ومناقشة ما ورد من آراء تبنت رؤى ومفاهيم مادية متجاهلة المفاهيم والرؤى القيمية للمجتمع العراقي ، ولذا طرحت جملة من التساؤلات والاستفهامات ، والتي ستقف عليها الدراسة عرضا وتحليلا.

١. هل ان المجتمع العراقي والعربي هم بمعزل عن الطبيعة البشرية عند الشعوب وألامم الاخرى ، وإن صفات الازدواجية والتناشز والصراعية والعصبية هي من صيرورتهم وكينونتهم ، أو هي أشد وقعا عندهم دون غيرهم؟.

٢. ولماذا هذا الايهام بأن منظومة المجتمع العراقي الحضارية هي سبب الصراعات والتناحرات الدينية والعرقية ، وهل نظرية المواطنة على وفق المفهوم الليبرالي هي الانجع والاسلم للتعايش المجتمعي ؟.

٣. وهل فعلا ان المجتمع العراقي وحضارته هي نتاج البادية والبدوية ، وهل الحضارة الاسلامية بدوية بالأصالة أم مدنية؟.

٤. وهل الجغرافية والبيئة لها تأثير في الطبع والمزاج الانساني ،وماذا تسمي الاختلاف في الطباع والامزجة رغما من تشابه الجغرافية والبيئة عند كثير من الشعوب ؟.

٥.ولماذا هذا الاصرار من قبل الباحثين والمراكز البحثية على ترسيخ عقدة الدونية في وسمها مجتمعاتنا، ولماذا تفتقد مكتباتنا وجامعاتنا ومراكزنا البحثية دراسات حول الشخصية الانجلو سكسونية والشخصية الجرمانية وبقية الشخصيات الغربية ، ليتسنى المقارنة والمقاربة بين الشخصيات الانسانية ومجتمعاتها ، وللوقوف على أوجه الاختلاف والتشابه بينها ؟.

المبحث الاول / منهجية الدراسة :

منهـجية الدراســـة **Study Method (Approach)**:

هو طريقة لتنظيم البيانات والمعلومات والأفكار المتعلقة بإحدى الظاهرات ,واتفق الجغرافيون الاقتصاديون علي أن فرع تخصصهم يبحث التوزيع الجغرافي لفروع الإنتاج المختلفة مع العناية بتفسيرها وتعليلها, ثم يحلل خصائصها الاقتصادية والتباين الجغرافي المرتبط بذلك, وذلك بتناول الظاهرات من جوانبها الموضوعية والإقليمية. ويعد المنهج الانثروبولوجي من أكثر المناهج إلتصاقاً بالواقع الإجتماعي وأقدرها فاعليةٍ من الوصول إلى الحقائق الميدانية وعليه تم توظيف المنهجِ الوصفي والمنهج النقدي، إذ يتم في هذا الفصل التطرقِ إلى المناهج المتبعة في هذه الدراسة وأهم أدوات جمعِ البيانات لإتمام البحث. وفيما يأتي ماهية كلٍّ من هذه المناهج في الآتي:

أولاً/<u>المنهج الوصفي **Observational Approach**</u> : يعد من أكثر المناهج إستعمالاً في الدراساتِ الأنثروبولوجية بصفته يقدم صورةٍ وصفيةٍ آنيةٍ عن واقع المجتمعِ المدروس. وبهذا المعنى فالمنهجِ الوصفيّ يعني المنهج العلميّ الذي يستعمله الباحث في دراسته، إذ يحدد من خلاله الخطوات الصحيحةِ لدراسته التي تمكنه من الوصول إلى الاهداف والنتائج التي يسعى إليها، وبذلك فإن مفهوم المنهج يشير إلى الطريقة أو الكيفية التي يتبعها الباحث في دراسةِ ظاهرةٍ أو مشكلة أو موضوع معين(البرزنجي، ٢٠٠٩، ص٢٥) هو

أحد أبرز المناهج المهمة المستخدمة في الدراسات العلمية ، ومناهج البحث العلمي بوجه عام تساهم في التعرف على ظاهرة الدراسة، ووضعها في إطارها الصحيح، وتفسير جميع الظروف المحيطة بها، ويعد ذلك بداية الوصول إلى النتائج الدراسية التي تتعلق بالبحث، وبلورة الحلول التي تتمثل في التوصيات والمقترحات التي يسوقها الباحث لإنهاء الجدل الذي يتضمنه متن البحث، واستخدام منهج معين في البحث يتطلب وقتًا وجُهدًا كبيرين في سبيل الوصول الى جميع المعلومات والبيانات التي تتعلق بظاهرة البحث، وسوف نتعرف هذا المقال على تعريف المنهج الوصفي وخصائصه.

يعد "فردينان دي سوير" هو المقنن والأب الروحي للمنهج الوصفي، حيث اهتم بدراسة الظواهر الوصفية أو اللغوية، هادفًا بذلك إلى التعرف على الخصائص الواضحة لها، وكان من نتاج ذلك الحد من استخدام المنهج التاريخي في الأبحاث الاجتماعية. ولابد من الاشارة إلى أن المسلمين من أوائل من استخدموا المنهج الوصفي،فالعالم الباحث والمحقق ابو الريحان البيروني (ت ١٤٤٠هجرية) الذي درس المجتمع الهندي بالملاحظة بالمشاركة ، والتي اتضحت في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العق او مرذولة) ، وهذا ما اشار اليه وعرفنا به الانثروبولوجي والمستشرق الالماني ادوارد سخاو ، فقد عده اول من كتب في الانثروبولوجيا وعلى وفق المنهج القيمي الموضوعي. غير ان هنالك الكثير ممن سبقه اعتمد النهج الوصفي الا انها كانت تفتقر الى المنهجية المتوافقة والاسلوب المعاصر، و قد اتضح ذلك جليًا في الأدب العربي والأشعار في العصر الجاهلي التي اعتمدت على أسلوب الوصف، فنرى من يصف البيئة العربية بما الذي يسعى الباحث الناقد فيه الى تقويم الخطأ على وفق الاسس العلمية مبتعدا عن التعصب واصدار الاحكام المسبقة ، وقد جمع المنهج التحليلي النقدي مرادفات في المفهومات كالتقييم المطروحة عند بعض الاعلام والباحثين ممن تصدى لقراءة المجتمع العراقي وشخصيته.

المبحث الثاني / مفاهيم الدراسة :الشخصية : PERSONALITY

، والردود ، والمناظرات ، والمحاورات ، والجدل ، والمباحثة ، والتي اتضحت في مناقشة بعض العناوين تتضمنه من حروب، وصحارى وصراعات قبلية وصفًا دقيقًا، وظهر كذلك في المنتجات الأدبية في العصرين الأموي والعباسي... إلخ. وقد تطور المنهج الوصفي في الوقت الحالي، وأصبح وسيلة مهمة لدراسة الأبحاث العلمية، ومن الممكن أن نقول إن وضع الأسس العلمية للمنهج الوصفي جاء نتيجة الحاجة إلى وسائل حاسمة لتوصيف ما يواجهه المجتمع الحديثة من ظواهر ومشكلات في شتى الميادين.

ثانياً/المنهج التحليلي النقدي:

في الحديث عن ماهية المنهج التحليلي النقدي لابد من الاطلاع على تعريف المنهج،ففي اللغة له معان كثيرة أن يقال نقد الشيء نقدا ليختبره أو ليميزه من رديئه (ابراهيم مصطفى، ١٩٧٢،ص٩٤٤) ، والنقد يأتي بمعنى المناقشة ، يقال ناقده ، ناقشه ، ويأتي النقد بمعنى العطاء كما جاء في مختار الصحاح " نقده الدراهم ونقد له الدراهم ، وأنقدها أخرج منه الزيف ، وناقده ناقشه في الامر(محمد بن ابي بكر، ١٩٧٦، ص٦٧٥)،ن وإصطلاحا هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الاساليب المختلفة ويأتي بمعنى الفحص الحر البعيد عن التقيد بأي مذهب واتجاه ،ومن معانيه هو بنيان من الفكر والمعرفة له وجوده الخاص (محمد مندور، بلا ت ، ص١٤) ، فالنقد منهج لاكتشاف الاخطاء وتصحيحها ، وازالة العيوب ونقد الكلام هو اظهار عيوبه ومحاسن . فالنقد هو التمييز بين الفكر الصحيح والفكر الزائف ، والنقد بمعنى المناقشة والحوار المبني على أسس صحيحة . وتعدد النقد بتعدد مجالاته فهناك النقد الاجتماعي (وهو مدار منهجية الدراسة) ، والنقد الادبي والفني ، والنقد الفلسفي ،وغيره).وقد اعتمدت الدراسة منهجية النقد البناء

١.الشخصية: -: **PERSONALITY**

شخص في اللغة تعني سواد الانسان، وغيره تراه من بعيد، وكل شيء راي تجسمانه فقد رأيت شخصه ، والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور ،وجمعه أشخاص وشخوص

وشخاص . وشخص تعني ارتفع ، والشخوص ضد الهبوط ، كما يعني السير من بلد الى بلد ، وشخصَ ببصره أي رفعه فلم يطرف عند الموت ، وتشخيص الشيء تعيينه، وشخص تعني نظر الى(ابن منظور ،١٩٦٨،مادة ش خ ص) ، وهذه المعاني تشير الى ذات هي الانسان ، والى فعل مرتبط بالانسان نفسه ، أو غير مرتبط به ،وقد ربطت تلك المعاني الشخص بالرؤية مما يعني انه شيء حسي له جسم ، وله ارتفاع وظهور ، ومن هنا فان دلالة الشخص حسب المعاني السابقة لاتتأكد حتى يظهر للعيان بجسمه ، أما اذا بقي مختفيا فانه ليس شخصا ، والامر نفسه اذا لم يتأكد حضوره الحسي . وهذا بخلاف المعنى المترجم من اللاتينية (**PERSONA**) ، بمعنى القناع ، والذي أ خذته الفرنسية (**PERSONNE**) ثم حول معناها في القرن الخامس عشر الميلادي الى (**PERSONALITE**) وتعني الشخصية،التي استخدمت لاحقا في حقول علم النفسي بمعنى الخصائص الحسية والوجدانية والعقلية والنفسية التي تعيّن الفرد وتميزه عن غيره (عادل بكر ،صحيفة الوطن القطرية) .وعند الرجوع الى المعنى اللغوي العربي لكلمة شخص فقد جاءت مختلفة المعاني ، فمرة مرتبطة بالحس في اشارتها للذات ، كالسيد العظيم ، أو سواد الناس ، وتارة في اشارتها للفعل الذي يمكن أن يصدر من ذات لها وجود حسي ، ومن تلك الافعال شخوص البصر الذي يعني ارتفاع النظر الى أعلى، أو تشخيص الشيء بمعنى تعيينه من خلال العقل ، ولذا جاء ربط الشخص بالتشخيص للدلالة على الانسان أكثر من استخدامها في الدلالة على غيره ، وذلك من الافعال المسندة الى الشخص .وهذا فيه دلالة على الاتجاهين الحسي والعقلي الذين اعتمدتهما المدرسة الاسلامية في تشكل وصيرورة الشخصية وبنيتها الانسانية والمجتمعية ، بعكس المدرسة التجريبية الحسية التي تجاهلت الشق الروحي والمعنوي القائم على استدلالاته العقلية والعلمية ، لذا جاءت رؤى وتصورات اعلامها عن الصيرورة الانسانية وشخصيتها ، مختلة ، كونها اهملت قراءة المنظومة القيمية للمجتمع العراقي والتي حددت وتحدد في موروثها وحضارتها كيفية بناء الانسان والمجتمع واسباب انهياره الاخلاقي والقيمي المؤدي الى تفكك الاسرة والمجتمع والذي ينتج شخصية مهزوزة تائهة في دوامة التناشز القيمي والتذبذب السلوكي(الازدواجية) اللذان يعاني منهما اليوم دعاة الحداثوية الليبرالية الذين يعيشون ذلك الصراع القيمي بين حضارتهم والحضارة التي بهرتهم ماديتها ، فضلا عن اشكالية مدينية تعاني منها مجتمعاتنا وغيرها من المجتمعات الانسانية ، سببتها ثقافات وفدت اليها سواء اكانت من موروث اجتماعي ، ام من ايديولوجات وفدت علها تكون البديل الاخلاقي والقيمي ، كما يراها من اعتنقها واعتقد بها .

٢. <u>المجموعة الأثنية أو العرقية:</u> **- ETHNIC – RACE ROOT**

فالمصطلح أثنية **(ethnic)** مشتق من الكلمة الاغريقية اليونانية **ἔθνος** إثنوس) **(ethnos)** على نحو أدق، من صفة **ἐθνικός** إثنيكوس، التي تم إقراضها إلى اللاتينية لتصبح إثنيكوس **.(ethnicus)** تأتي كإسم وتعني جماعة من الناس أو الشعب: قبيلة، أسرة. أيضا جماعة من الحيوانات: قطيع، سرب. والبلد والأمة ، وهي تعني الاصل والجذر،والجنس، والعنصر، فالمفاهيم المشتقة من اللاتينية في اعلاه كلها تشير الى المعنى الاصل السلالي ، غير ان الاشكالية التي تصلنا من الترجمة الى العربية، اذ يحاول جملة من المترجمين اسقاط بعض المفاهيم التي يتبنوها وبالتالي تحصل هذه الضبابيية في الفهم المفاهيمي ، وهذا ما سيتضح في جملة من القراءات. عادة ما تكون الأثنية حالة موروثة على أساس المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، فالإنتماء إلى مجموعة أثنية يميل إلى أن يكون محدد بالاشتراك بالتراث الثقافي، أو السلف، أو أسطورة الأصل، أو التاريخ، أو الوطن، أو اللغة، أو اللهجة، الأنظمة الرمزية مثل الميثولوجيا والطقوس، المطبخ، أسلوب الملابس، والفن. المجموعات الأثنية المستمدة من نفس تأثير المؤسس التاريخي، غالبا ما تستمر في تكلم لغات مرتبطة وتتبادل تجميعة الجينات متماثلة. عن طريق التحول اللغوي، التثاقف، والتبني، يمكن أحيانا للأفراد أو الجماعات ترك مجموعة أثنية معينة وأن يصبحوا جزءا من مجموعة أخرى (باستثناء المجموعات الأثنية التي تؤكد على النقاء العرقي كمعيار أساسي للعضوية، يمكن تقسيم المجموعات الأثنية الكبيرة إلى

مجموعات فرعية أصغر تعرف باسم القبائل أو العشيرة، والتي قد تصبح بمرور الوقت مجموعات أثنية منفصلة بسبب زواج الأقارب أو العزلة المادية عن المجموعة الأم. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تندمج الإثنيات المنفصلة سابقا لتشكيل وحدة أثنية، وقد تندمج في نهاية الأمر في أثنية واحد .سواء من خلال الانقسام أو الاندماج، يشار إلى تشكيل هوية أثنية منفصلة باسم تكوين إثني .

العلاقة بين الأثنية والعرق:

العرق والأثنية مفهومين متصلين مترادفين. غالبا ما يفترض أن تكون الأثنية نوعا من الهوية الثقافية لمجموعة ما، كثيرا ما تقوم على أساس النسب واللغة والتقاليد الثقافية، في حين يفترض أن يكون العرق تصنيفا بيولوجيا صارما يستند إلى العرق والأثنية انقسما عن من بعضهم البعض أكثر.

مصطلحح عرقية**(Racial)** يستعمل كمصدر لمصطلح عرق**(Race)** وتبعا لمصدر تأكيد هوية المجموعة لتحديد العضوية،وكان ظهور للعرقية كمصطلح كان في معجم اكسفورد عام ١٩٧٢ واول من وظفه بحثيا هو عالم الاجتماع الامريكي ديفيد ريزمان عام ١٠٩٥٣ وهي في الاصل كلمة اغريقية تعني (الوثني) ثم صارت تستخدم في الانجليزية لتعني العلاقات السلالية بين الناس ثم اكتسبت المعنى الاصطلاحي العام الذي يتضمن المنظومة الطبقية والمعتقدية والجنوسية ، فضلا عن التمثلات السياسية والمؤسساتية .(مرابط رابح،٢٠٠٩، ص ٢٠)، وهذا التعريف الاغريقي الوثني يحيلنا الى المعنى اللغوي العربي والذي يدحض فكرة ورأي اصله الاغريقي ، ففي المعاجم

اللغوية ، والقومية (التي ميزت لاحقا عن العرقية)، والعرقية،والجهوية ، والاثنية ، والملاحظ في هذا الخلط المفاهيمي تجد له ابعاد سياسية اكثر مما هي مرتكزات بحثية علمية .

هل هنالك تباينات بين العرق والأثنية؟

قديماً كان مصطلح "العرق" رائجاً جداً في الحوارات العامة، وقد بدأ استخدامه للدلالة على مجموعة الأشخاص الحمض النووي والبنية العظمية. العرق هو موضوع أكثر إثارة للجدل من الأثنية، نظرا لاستخدامه السياسي الشائع. ويفترض وجوده استنادا إلى علاقات القوة، "إثنيات معرقة" و "أعراق مؤثنة"، ويرى رامون غروسفوغل (جامعة كاليفورنيا في بيركلي) أن "الهوية العرقية/الأثنية" مفهوم واحد، وأن مفاهيم العرق والأثنية لا يمكن أن تستخدم كفئة منفصلة ومستقلة.

قبل ويبر، كان ينظر للعرق والأثنية في المقام الأول على أنها جانبين من نفس الشيء. حوالي عام ١٩٠٠ وما قبله، كان الفهم البدائي الأساسي للأثنية هو الغالب: الاختلافات الثقافية بين الشعوب كان ينظر إليها على أنها نتيجة للميول الموروثة والاتجاهات. مع مقدمة لمنظور الأثنية كمنشأ اجتماعي،

العربية وردت مفردة وثن بمعنى وثن الشيء بالمكان ، وثن يثن وثنا : أقام وثبت فهو واثن والجمع وثن وأوثان وأُثن، ووثن الرجل : ثبت واقام على العهد ، ويقال وثن الحجر بالمكان وتعني اقام به وثبت ،والوثن الصنم ولذا يشار اليه بالوثن كونهم أقاموه وثبتوه في مكان عبادتهم (وهذه دلالة على اصالة اقامتهم في بقعة ومكان اسلافهم)، ويقال استوثنت الابل أي نشأت اولادها معها ، ولذا يطلق على الوثنيين المشركون كون التلازم الثنائي في عبادتهم بالشركاء ، كما في قوله تعالى في سورة الانعام اية ١٠٠ (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) . ويقال هي وثنُ فلان ونعني امراته(الفيروزابادي ، ١٩٨٠، ص٢٤٣) ، وهذه الملازمة بحسب المعنى اللغوي هي الاشتراك العرقي والسلالي. غير انه لاحقا بدأ التحديد الاثني على عدة اعتبارات منها

الذين يتحدثون بلغة مشتركة(مبعدين الاتصال النسبي). بعد القرن السابع عشر أصبح استخدام هذا المصطلح يصدر من أولئك الذين كانوا يعتقدون بأنهم متفوقون على باقي البشر بسبب نشوئهم ضمن عائلات معينة أو قبائل معينة، ما يدعوهم إلى الفخر والاعتزاز لمجرد أنهم نشؤا ضمن هذه البيئة. وخير مثال على ذلك، نظرية العرق الآري (الألماني) التي رأي من خلالها أدولف هتلر الألمان كعرق متفوق على جميع الأجناس البشرية، وحتى هذه اللحظة من عمر البشرية

لايزال البعض متمسكين باسطورة النقاء العرقي (كما عند الانجلوسكسون وادعائهم بتفوق عرقهم الابيض الاشقر كما هو شعار وتطبيقات المنظومة السياسية في الولايات المتحدة الامريكية)،وهذا ما تؤكه ادبياتهم ففي كتابه تقسيم العمل يشير اميل دوركايم(ان راى احدهم سكان امريكا الاصليين فقد رآهم جميعا ، اما عند الشعوب المتمدنة فالامر بالعكس ، ذلك ان الشخصين يتميزان احدهما عن الاخر من اول نظرة ومن غير ان يكون التدريب السابق ضروريا . ان هذا يثبت بصورة موضوعية، هذا التجانس الذي يتزايد كلما ازددنا صعودا الى الاصول) وفي نص اخر يقول فايتز (ثم ان تشابه الطباع شيء لاشك فيه لدى الشعب الزنجي، وكان تاجر الرقيق في مصر العليا لايطلب معلومات دقيقة الا عن منشأ العبد لا عن طبعه الفردي ، ذلك ان التجربة الطويلة علمته ان الفرق بين الافراد الناشئين في قبيلة واحدة لا اهمية لها بجانب الفروق التي تنشأ من العرق ، وهكذا يعد رجال النوبة ، والغالوس امناء جدا ، واحباش الشمال خونة لؤماء ، واغلبية الاخرين خدما طيبين في المنازل لكنهم غير ذوي نجع في العمل الجسمي وكذلك رجال الفرتيت فأنهم يعدون متوحشين سريعين الى الانتقام) (اميل دوركليم ،١٩٨٢، ص ١٥٦-١٥٧). ويبدو ان البعض يخسر في كل يوم مراهناته حول الايديولوجيا العرقية . لقد جاء التطور العلمي ليجيب على الكثير من التساؤلات المتعلقة بهذا الموضوع ولا يزال مجال البحث مفتوحا لمزيد من الكشوفات في هذا المجال رغما من اكتسابها (البحوث الوراثية والجينية) الدرجة القطعية بوهن دعوى العنصرية والعرقية .لقد اثارت هذه البحوث تساؤلات مضادة وبرهنت بدرجة معينة على محدودية فكرة العرق النقي خصوصا في المجتمعات المفتوحة امام الهجرات والاختلاط الذي فرضته التطورات التاريخية عبر الاف السنين ، وبرهنت على وجود خلط واضح بين التنشئة الاجتماعية على مفهوم العرقية واسطورة النقاء السلالي .

لاحقاً أصبح هذا المصطلح معيباً، ولم يعد الكثير من الناس يشعرون بضرورة استخدامه لما يمكن أن يحمل في طياته توجهات عنصرية ضد مجموعات معينة من الناس. ولذلك بدأ مصطلح "الأثنية" بالظهور إلى الواجهة أكثر فأكثر، واستخدم في كثير من الحالات تلافياً لاستخدام مصطلح "العرق .(وهذا ما يؤكده تلاعبهم بالمفاهيم واستبدالها باخرى كما في العلمانية والعولمة والليبرالية والحداثة...الخ)

ولذا فقد ارتبط مصطلح العرق بالدراسات الوصفية التي تقوم على تقسيم الجنس البشري إلى مجموعات عرقية رئيسية (أمريكي، آسيوي، أوروبي، أسترالي، والمستمدة من فرضية القوقازي والزنجي والمنغولي) قائمة بالأساس على افتراض اللا تكافؤ بين بني البشر بالاستناد إلى مبررات بيولوجية. لكن هل يعقل هذا خاصة إذا علمنا أن النقاء العرقي غير موجود على أرض الواقع بسبب الاختلاط العرقي الذي نتج عن الزواجات المختلطة وعدم وجود حدود فاصلة بين المجموعات العرقية المختلفة، فضلا عن الحجم الكبير للمجموعات العرقية الذي يجعل الاختلافات تظهر بشكل أكبر بين أفراد كل مجموعة؟.

ولذلك بدأ مصطلح الأثنية بالظهور أكثر فأكثر باعتباره مصطلحاً أشمل، إذ لا يقتصر اهتمامه على الخصائص البيولوجية، بل يتعداها إلى الكثير من الأبعاد الثقافية وغيرها من الجوانب غير المادية في تكوين الهوية. وبالتالي فإن البشر أخذوا ينظرون إلى العرق باعتباره مصطلحاً يشير إلى تصنيف سلبي للناس يقوم على مبدأ الإقصاء، على عكس الأثنية الذي يرونه يدعو إلى تماثل إيجابي للجماعة يقوم على الإدماج بين الأفراد. وقد يعطي مصطلح العرق انطباعاً بأن الفروق في الخصائص الثقافية هي فروق فطرية غير قابلة للتغير لأنها نابعة من أسس بيولوجية، أما مصطلح الأثنية فيعطي انطباعاً بأن هذه الفروق مكتسبة بفعل الاحتكاك مع المجتمع. ويبدو أن مغالاة النازية في تمجيد العرق الآري (الجيرماني) باعتباره عرقاً يتفوق على كافة الأجناس البشرية، وسيداً على باقي البشر، قد أدى لاحقاً إلى تجريم مصطلح العرق وأسهم شيئاً فشيئاً إلى جانب بعض العوامل الأخرى في ظهور مصطلح الأثنية كمصطلح بديل وأقل حدة من العرق، على الأقل باعتباره مصطلحاً لا يدعو إلى توليد الكراهية والعنصرية ضد الفئات المختلفة بين بني البشر.

٣. البنية والبنية الاجتماعية : **SOCIAL STRUCTURE –SOCIAL CONSTRUCTION**

البنية لغة مشتقة من الفعل الثلاثي بنى وتعني البناء او الطريقة ، وكذلك تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء ، او الكيفية التي شيد عليها (ابن منظور، ١٩٦٨ ،مادة بنى)،والبنية موضوع منتظم له صورته الخاصة ووحدته الذاتية لان كلمة بنية في اصلها تحمل معنى المجموع ، والكل المؤلف من ظواهر متماسكة يتوقف كل منهما على ما عداه ، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه.(عبدالوهاب جعفر، ١٩٨٩،ص٨) . ويرى ليفي شتراوس ان البنية مجرد طريقة او منهج يمكن تطبيقها في أي نوع من الدراسات تماما كما هي بالنسبة للتحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الاخرى .(ابراهيم السعافين ،١٩٩٣،ص٦٨). والبنية هي شبكة العلاقات التي يعقلها الانسان ويجردها ، ويرى أنها هي التي تربط بين العناصر المختلفة ، وهذا القانون هو الذي يمنح الظاهرة هويتها ، ويضفي عليها خصوصيتها ، ويتم التعرف على البنية من خلال علاقة التعارض والتشابه بين العناصر المختلفة ويطلق عليها قوانين التركيب ، ولا يهم أصول البنية التأريخية ، ولا عوامل تكوينها ولا مضمونها ، ولا فاعليتها ، فهذه العناصر يجب تعليقها للتوصل الى البنية المجردة.(عبدالوهاب المسيري ،ج٨، ص١٦٨). وللبنية ثلاث خصيصات هي الكلية: وتعني ان البنية ليست موجودة في الاجزاء ، والتحولات: التي تمنح البنية حركة داخلية وتقوم في الوقت نفسه بحفظها واثرائها دون ان تضطرها الى الخروج عن حدودها أو الانتماء الى العناصر الخارجية، وثالثا التنظيم الذاتي : ويعني ان البيئة كيان عضوي متسق مع نفسه منغلق عليها مكتف بها ، فهي كلُ متماسك له قوانينه وحركته وطريقة نموه وتغيره، ومن ثم فهي لاتحتاج الى تماسكه الكامن.(عبدالوهاب جعفر ، مصدر سابق).

بالنسبة لموردوك يدل مفهوم البنية الاجتماعية على تماسك المؤسسات الاجتماعية : ليست المؤسسات تجميعا اعتباطيا او عرضيا ، وبهذا المعنى يكون لها بنية. وموردوك يعثر على أرضية المجتمعات القديمة على فكرة أساسية وسعها مونتسكيو بشكل منظم في روح الشرائع . لقد استعيدت هذه الفكرة في شكل التحليل الذي نسميه أحيانا البنيوية – الوظيفية . وان احد اعراض هذا النوع من التحليل هو بالتحديد فهم تماسك المؤسسات الاجتماعية واظهار تبعيتها المتبادلة . وهكذا ، حاول بارسونز أن يبين أن "البنية" الصناعية للمهن تكون متلائمة قليلا مع المؤسسات العائلية من النمط التقليدي (العائلة المتسعة مع وحدة الاقامة).

وبصورة اعم ، غالبا ما يكون لمفهوم البنية عند الوظيفيين والبنيويين تفسير قريب من مفهوم النمط . يعني : ١- وضع لائحة من المتغيرات التي تعتبر ملائمة . ٢- تبيان ان هذه المتغيرات تتسم بترابطات متبادلة قوية الى حد ما " ومنبنية" اي موزعة بطريقة غير عرضية ، ٣- استعمال هذه الترابطات المتبادلة لتوزيع الاغراض على أنماط أو طبقات .

وفي حالات أخرى ، يتم إستعمال مفهوم البنية بمواجهة تعابير أخرى أو بالعلاقة معها. ان مفهوم البنية يواجه في ظروف أخرى بمفهوم المصادفة . وعلى نفس منوال الافكار . يشير مفهوم البنية غالبا الى العناصر الثابتة لنظام معين، مقابل عناصره المتغيرة، وهكذا ، تشير فكرة المفهوم لنموذج معين ، اما الى ثوابت النموذج ، واما الى مجمل الوظائف التي تربط المتغيرات فيما بينها ، واما ايضا الى مجمل الثوابت والوظائف.وفي حالات اخرى ايضا يستعمل مفهوم البنية بشيء من التردد لتمييز الاساسي من الثانوي والجوهري والاصلي من المشتق . وهكذا يعد مانهايم أن البنية الاجتماعية هي نسيج القوى الاجتماعية في نشاطها المتبادل والذي تخرج منه مختلف نماذج الملاحظة والفكر . في هذه الحالة يدل مفهوم البنية الاجتماعية بصورة ضمنية على مجمل العناصر لنظام اجتماعي معين ، التي يخمن المشتغلين في هذا الحقل أنهم يسيطرون عليها ويحددون الاخرى. أما

بالنسبة لمانهايم يتعلق الامر بالعناصر المادية من خلال اشارته بعبارة "القوى الاجتماعية" التي تسمح بتفسير العناصر الفكرية يذكر هذا الاستعمال بالتمييز الماركسي الشهير بين البنية التحتية والبنية الفوقية ، ويفسر نفوذ التراث الماركسي كون علماء السوسيو انثروبولوجيين يستعملون

تكرارا مفهوم البنية الاجتماعية بمثابة صنو لنظام التدرج ، وتعد حينئذ متغيرات التدرج أولية وحاسمة. واذا رفضنا بدءا اعتبار بعض فئات المتغيرات بصفتها حاسمة ، يصبح مفهوم البنية الاجتماعية كما يشير الى ذلك مؤلفون مثل كروبر وايفانز بريتشارد او رادكليف براون صنوا بسيطا لمفاهيم أخرى ، مثل مفاهيم التنظيم الاجتماعي أو تنظيم العلاقات الاجتماعية. (بورون وف بوريلو،١٩٨٦، ص٩٩).

وهكذا يمكن ان يظهر مفهوم البنية مترابط مع مفهوم النظام اذا اعتبرنا أن النظام هو مجمل " العناصر ذات التبعية المتبادلة ". ولكن يمكن أن يظهر كذلك وكأنه معرف ضمنيا او صراحة بمواجهة مجموعة اخرى من المفاهيم او بالتماس معها ، في اتجاهات متنوعة جدا ربما يستطيع الوضع العام وحده أن يحددها .ومن خلال الوقوف على الاراء في اعلاه يتضح بتوصيفاتهم البنيوية وتشكيلاتها للشخصية الانسانية والاجتماعية يلاحظ النظرة المادية الصرفة للانسان متجاهلين الشق الروحي والوحياني المكمل والموجه لماديات الفرد والجماعة، والذي بهما يتحقق اتزان وصيرورة البناء الاجتماعي

٤ .القومية :Nationalism :لغة القوم :الجماعة من الرجال والنساء جميعا ، والقوم يذكّر ويؤنث ،لان أسماء الجموع التي لاواحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ، ونفر ، وقوم، والجمع أقوام وأقاوم، وأقايم. والقامة : جماعة الناس ، والقامة قامة الرجل ، وقامة الانسان وقيمته وقومته وقوميته :شطاطه، وقوام الرجل : قامته وحسن طوله ، والقومية مثله ، والقومية : القوام أو القامة ،يقول الاصمعي : فلان حسن القامة والقمة والقومية . والقوم : جماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها . وقوم الرجل : اقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد أو سلالة واحدة .(ابن منظور ، ١٩٦٨ ، مادة قوم) هي نظام سياسي واجتماعي واقتصادي يتميز بتعزيزه مصالح دولة معينة، وخاصة بهدف كسب والحفاظ على الحكم الذاتي، أو السيادة الكاملة، على وطن الجماعة. وبالتالي، فإن الإيديولوجية السياسية ترى أن على الأمة أن تحكم نفسها، بعيدا عن التدخل الخارجي غير المرغوب فيه، وترتبط بمفهوم تقرير المصير .وتهدف القومية أيضا نحو تطوير والحفاظ على الهوية الوطنية القائمة على الخصائص المشتركة مثل الثقافة واللغة والأثنية والدين والأهداف السياسية أو الاعتقاد في السلف المشترك(.بورونوف . بوريلو، ١٩٨٦،ص١٠٠) .والقومية بفهومها الايديولوجي هي الايمان بأن الشعب أي شعب هو شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتأريخ والجغرافية والمصالح ، وهذا المفهوم وتعريفه قد استبعد العنصر الرئيس من العناصر المكونة للقوميات والامم والشعوب الا وهو الدين . ولذا تلاحظ ان القوميين العرب بمجملهم ، قد استبعدوا الاسلام كركيزة حضارية لامة العرب ، وذلك لاسباب متعددة ، منها ان الحركات القومية والتي تشكلت بعد العديد من الثورات في البلدان العربية ضد الأستعمار الفرنسي والبريطاني، كما في مصر عام (١٩١٩)، وثورة ميسلون في سوريا سنة (١٩١٩) ، وثورة العشرين في العراق عام (١٩٢٠) ، كانت شعاراتها ، وقياداته اسلامية ، هذا الوعي الأسلامي سبب اشكالية للمستعمرين ، وعدّوه العدو والمعيق لمشروعهم في هذه البقعة الجغرافية الاستراتيجية ، ولذا حاولوا استبداله بمفاهيم العروبة والقومية.

تخضع المجموعات الأثنية أحيانا لمواقف وتصرفات تضر من قبل الدولة أو مكوناتها. في القرن العشرين، بدأ الناس يجادلون بأن الصراعات بين المجموعات الأثنية أو بين أعضاء المجموعة الأثنية والدولة يمكن وينبغي حلها بإحدى طريقتين. ويرى البعض، مثل يورغن هابرماس وبروس باري، أن شرعية الدول الحديثة يجب أن تقوم على فكرة الحقوق السياسية للموضوعات الفردية المستقلة. ووفقا لهذا الرأي، لا ينبغي للدولة أن تعترف بالهوية الأثنية أو القومية أو العرقية، بل بدلا من ذلك، تطبق المساواة السياسية والقانونية بين جميع الأفراد. وهذا ليس حلا ، فهو ينتج اشكالية التهميش العرقي الأثني ،مع العلم ان مسألة الانتماءات السلالية والعرقية سنة كونية ، وعليه فالحلول هي بقاء الاعتراف بالهويات بتنوعاتها بشرط تطبيق مبدأ المساواة على وفق التشريعات المدنية الاسلامية التي تضمن حقوق الجميع.

الدولة القومية وعلاقتها بالاثنية:

هل يمكن فصل مفهوم القومية عن الأثنية علما أن المفاهيم القومية كافة ترتكز إلى العنصر والعرق ؟ لقد اختلف المفكرون عبر العصور في تحديد ماهية القومية، وان تمثلت بدايات بعض القوميات بالتشديد على العنصر واعطائه أهمية قصوى إلا أن البعض الاخر أسقط صفة الأثنية عنها . وهذا الادعاء في التفريق بينهما يتعارض كون المفهومين يعودان لأصل وجذر لغوي ، وجينالوجي واحد . القومية مفهوم حديث نشأ في القرنين الأخيرين، ويقوم على تنظيم الهيئة الاجتماعية بترتيب مغاير لكل ما سبقه من تنظيمات، فبإمكاننا ترتيب مجموعة من البشر بأشكال مختلفة: قد تنتظم المجموعات البشرية بشكل قبائل، أو قد تنتظم بشكل اثني، فيجتمع من يعتبرون أنفسهم من عرق معين مقابل عرق آخر. وأن الفرق شاسع وجوهري بين الهوية القبلية أو الأثنية أو الدينية من جهة، والهوية القومية من جهة أخرى، فالهوية القبلية تقوم على صلات الدم وعامل القرابة، ولا تتغير هوية القبيلة اذا ارتحلت من مكان الى آخر، كون هويتها تابعة للنسب، ومرجعها الجد الاكبر وهمياً كان أم حقيقياً. المفهوم الاثني يتبع المقياس ذاته فهو مبني على علاقة الدم بين أفراد المجموعة. أما في الجامعة الدينية، فتنتفي صلات الرحم وتحل محلها الهوية الإيمانية، ويصدر التشريعات والقوانين مرجع الجامعة الدينية الروحي، ويتبع المؤمنون هذه القوانين حيثما كانوا، وهذا ينطبق على الديانات الاخرى غير الاسلام ، فمرجعية المسلمين ومصادر تشريعهم مستمدة من القران الكريم ، والسنة النبوية ، وأما مرجعيتهم الدينية والروحية فعملها وشغلها بيان وتوضيح الاحكام والتشريعات .

يرى بعض المشتغلين في هذا الحقل إن مصطلح "الهوية(**identity**) ليس عربيا في أصله ، وإنما اضطر إليها بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف (هو)".(جميل صليبا ،١٣٨٥ه،ج٢ ، ص٢٣٥) وهناك من يميّز بين (الهَوية- بفتح الهاء) و(الهُوية- بضم الهاء)، حيث يرى احد الباحثين بأن معنى (الهَوية- بفتح الهاء) يختلف اختلافاً بيّناً عن معناها (بضم الهاء) (سعيد التل، ٢٠٠٧،شبكة النبأ الاخبارية)، فالهَوية (بفتح الهاء) تعني على الصعيد المعجمي العربي القديم، وكما جاء في (لسان العرب)، "المَزيّة" البئر بعيدة المهوان، والهُوّة، البئر أو الحفرة البعيدة القعر.(ابن منظور ،٢٠٠٤، ص ١١٦)

أما كلمة (الهُوية) (بضم الهاء)، فهي كلمة "جديدة طارئة على اللغة العربية"، حيث إن مصطلح (الهُوية) لا يمت في حد ذاته بصلة إلى جوهر اللغة العربية "فهو طارئ عليها". إن المعاجم العربية القديمة تخلو من كلمة (الهُوية- بضم الهاء)، ولا نجد هذه الكلمة لا في المعاجم الحديثة مع ذلك فإنها قد استقرت كاصطلاح له تعريفاته التي تعكس مفهوم المعرفين له"

هناك عدة تحولات من (هُو) نحوي (ضمير مفرد مذكر غائب هو) إلى (هُو) منطقي إلى (هو) انطولوجيا (وجودي)، ومن ثم إلى (هُوية) أنطولوجية في الفلسفة العربية إلى (هَوية) أنثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السوسيولوجي- التاريخي (سعيد التل، ٢٠٠٧، شبكة النبأ الاخبارية).ان مفهوم ولفظة الماهية والتي تعني من هو، وما هو،وهو ضمير رفع منفصل للغائب المفرد المذكر ،ويقال للمثنى هما ، وجمع المذكر هم،ويقال للمءنث هي ، وللمثنى هما ، ولجمع الاناث هن ، فالمفردة ليست طارئة على اللغة العربية ، واللفظة موجودة في القرآن الكريم ، وفي كلام العرب وشعرهم ، وفيها دلالات واضحة على معنى الهوية، والماهية .

الفصل الثاني : المجتمع العراقي والدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية

اولا : المجتمع العراقي في منظور الوردي:لقد كتب عن المجتمع العراق الكثير من المتخصصين ، وغيرهم ، وكان للإنثروبولوجيين والسوسيولجيين جزء ليس بالقليل في هذا المضمار فمنهم من اهل العراق ومنهم من غيره ، وقد تناولته الكثير من المراكز البحثية ، لأهداف وغايات شتى ، كما فعل حنا بطاطو في كتابه العراق . لقد كانت كتابات المتخصصين العراقيين في حقلي الاناسة والاجتماع عن مجتمعهم شكلت إضافةٍ بحثية في دراسةِ المجتمع العراقي في بيئاته المختلفة ، وبصرف النظر عن نواياهم وأهدافهم ، ولاشك إنَّ كتابات الدكتور علي الوردي تقفُ في الصدارة منها ، فقد وظف ثلاثِ فرضياتٍ أساسيةٍ معتمداً على

دراساتِ علماءِ الإجتماع مع عدم انكاره من التحوير فيها قليلا او كثير لتناسب طبيعة تكوين المجتمع العراقي ، وقد حاول أنْ يختبرها في البيئةِ الإجتماعية العراقية وقد دونها وحللها في بعض من مؤلفاته ، كما في دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ولمحات اجتماعية ، ووعاظ السلاطين ...، وهذه الفرضيات هي :-

١ ازدواجية الشخصية: التي إســـتمدَ مضمونَها من عالمِ السياسة ، والإجتماع الاسكتلندي ماكيفـر

٢. التناشز الإجتماعي: لعالم الإجتماع الامريكي وليم اوجبرن.

٣.الصراعِ بين البداوةِ والحضارةِ: والتي إستلهمها من ابن خلدون ووظفها لذلك فكانت آراء إبن خلدون بالنسبة اليه كمدار القطب من الرحى. علما ان كثير من الشبهات تدور حول هذه الفرضية أهي لإبن خلدون ،أم هي من نتاجات إخوان الصفا ؟

علما ان هذه الفرضيات لم تكن من عنديات اؤلئك بل هي من بعض سمات الطبيعة الانسانية ، وهذا ما يؤشره موروثنا القيمي الاسلامي القرآني الذي يصف جملة من الناس بالمذبذبين والمنافقين والتي توافقت معه مفاهيميا تلكم الفرضيات. ففي الفرضية الأولى حاول الوردي تطبيقها على المجتمع العراقي، وبملخصها يذكر علي الوردي مكونات الشخصية في الريف التي لاتختلف عن القيم البدوية على الرغم من كون الفرد في الريف يعاني من ضغوط غير موجودة في الصحراء مثل سيطرة الحكومة ، وجود الأسواق والمرابين ، تحول رؤساء القبائل إلى بداية حالة من الإقطاع بسبب تعسفهم في معاملة أتباعهم ، ظهور دوافع الربح وحب المال لدى بعض الريفيين و استغلال المرأة الريفية ، وأساليب الزواج وامتهان المرأة وقتلها لمجرد الشبهة. فالفرد الريفي يبقى يعاني من ضغط الواقع عليه مما يجعله غير قادر على الإستمرار في التمسك بالقيم البدوية التي يحترمها ويعتز بها . وتضطرها الظروف إلى الانحراف عن بعض الخصال البدوية ، مما يؤدي إلى ظهور الصراع في تكوين الشخصية الريفية.

اما الوضع الاجتماعي في المدن فيرى علي الوردي أن أغلب مدن الوسط والجنوب اسست في النصف الأخير من القرن التاسع عشر مثل قلعة صالح ، العمارة ، المجر الكبير ، علي الغربي ، الكميت ، شيخ سعد ، الكوت ، النعمانية ، الصويرة ، العزيزية ، الناصرية ، الشطرة، الرفاعي ، قلعة سكر ، الحمزة ، الشامية ، أبو صخير ، المسيب ، الهندية والمحمودية . وهناك ثلاث مدن اسست في القرن الثامن عشر هي الديوانية وسوق الشيوخ والزبير . أما الحي فقد اسست في بدء القرن التاسع عشر ، والهاشمية تأسست في بداية القرن العشرين . ويعزو هذه الحالة إلى تغير مجاري الأنهار اذ تختفي مدن وتظهر أخرى على ضفاف النهر . هذه الظاهرة جعلت أغلب سكان هذه المدن من أبناء القبائل المجاورة ، فهم (لملوم) حسب المصطلح القبلي(ومفهوم لملوم الذي إعتمده الوردي ،ينطبق كحالة مؤقتة نتيجة الهجرة والنزوح ، وبتقادم الزمان يصبح هؤلاء هم السكان الاصليون وامؤسسن لتلكم المدن، والاخر القادم هو الهجين ،وهذا ينطبق على كل المدنيات ، أما بالنسبة لتأسيس هذه المدن ، فهي بالاصل تجمعات سكانية قائمة ، غير ان العثمانيين ، وعند دخولهم العراق لاقوا اشكاليات ومصاعب وهجمات من العشائر الموجودين في تلكم المناطق، فلذا خططوا لهذه التجمعات مدنا الحقوها بالمدن القائمة اصلا كالبصرة، والكوفة ،وبغداد، فهي كانت محاولة منهم للسيطرة على مشاكسات العشائر التي كانت تؤرق حاكميتهم ، وهذا بالطبع لاينطبق على العشائر الموالية لهم التي كانت تحظى برعايتهم والاغداق عليهم . وكذا فعل الانجليز بتعامله مع العشائر التي حاربتهم عند دخولهم العراق إستجابة لفتاوى علماء النجف وكربلاء ، أما ما يعزى بأن المدن المذكورة قد تشكلت بسبب تغير مجاري الانهار ، فتفسير غير ناهض كون هذه المدن خططت حضريا، والتجمعات السكانية قائمة فيها التي هي على ضفاف الفراتين اصلا ، وكما إن هذه المدن التي اسست كما ذكرنا بحسب التخطيط الحضري العثماني والانجليزي، فهي أصلا توابع لمدن متجذرة ، ومتأصلة في التأريخ، كما في واسط التي إتخذها والي العراق في زمن الامويين الحجاج بن يوسف الثقفي مركز حكمه وكانت تسمى قبل ذلك بالبطائح ، وكذا الحال في العمارة التي اسست قبل مئتي سنة ،فهي

امتداد لمدينة العزير في حضارة ميسان ، فالمدن والتجمعات التي اصبحت مدنا من جديد). أما في منطقة الجزيرة أو ديالى فالمدن باقية على قدمها بسبب ثبات مجاري الأنهار، فلم يطرأ عليها تغيير كبير من حيث مواقعها وأسمائها . ويعتقد أن الكثيرين من سكان هذه المدن هم من بقايا الأقوام القديمة، وأنهم قد استعربوا في لغتهم وقيمهم الإجتماعية من جراء احتكاكهم بالقبائل المجاورة لهم. (وهذا الترجيح لم يثبت لأن القبائل العشائر المجاورة التي شكلت المدن ،حتى لو كانت آرامية، فهي صيرورة إجتماعية).

وتعاني المدن من الصراع الثقافي اذ بقيت بعض العادات والقيم البدوية تتصارع مع القيم الحضرية ومظاهر المدنية من بنايات ودوائر ودور فارهة وسيارات حديثة وأجهزة كهربائية ومدارس وروضات أطفال ودور سينما وغيرها.(وهذا الصراع الذي تنتجه المدنية العمرانية ليسسببه التباين التقني والعمراني ، وإنما بالاساس هو اختلال قيمي في منظومة القادمين والمهاجرين، فالمسلمون الأوائل وهم في مجتمع جاهلي قبل النبوة ما الذي دعاهم ان يرتقوا بالحضارات الانسانية ، فهل هي المدنية العمرانية والتي لم يعرفوها الاعند حضارات فارس والهند والصين والروم ؟ إن القيم وثباتها متأت من قوة تلك العقيدة وتطبيقاتها النظرية والتطبيقية التي ملأت النيا بحضارتها .

قد يجوز إنَّ نصفَ الشعب العراقي ومن ضمن تركيبه السكاني، بأنه شعبٌ حائرٌ، فقد إنفتح أمامه طريقانِ متعاكسانِ، فهو مضطرٌ أنْ يسير فيهما في آنٍ واحدٍ، فهو يمشي في هذا الطريق حيناً ثم يعود يمشي في الطريق الآخر حيناً آخر، ويشير الدكتور معن خليل العمر في كتابه رواد علم الإجتماع في العراق إلى فرضياتِ الوردي، ومنها إزدواجية الشخصية، والتي تعني: أنْ يسلكُ الإنسان سلوكاً متناقضاً دونَ أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه أو يعترف به، وهو ينشأ عن وقوع الإنسان تحت تاثير نظامين متناقضين من القيم أوالمفاهيم فهو يتأثر بأحد النظامين تارة وبالآخر تارة.

اما الفرضية الثانية (التناشز الإجتماعي) ، اذ يرى الوردي: من طبيعة التغير السريع انه لايؤثر في جميع أجزاء الكيان الإجتماعي بدرجة واحدة، فكثيرا ما يكون هناك جزءآن مترابطان، ثم يحدث التغيير في أحدهما دون أنْ يحدث في الآخر، أو قد يحدث في أحدهما أسرع مما يحدث في الآخر فيودي إلى صراعٍ، أو توترٍ، أو تناقض بينهما.(عبدالواحد عبد مشعل، ٢٠١٢,ص١٥-١٧) .{إن التغيرات التي تؤدي الى الصراع وعادة ما تكون بين شقي الانسان والمجتمع المادي والروحي ، هذا في حالة إن كان هنالك تعارض وتناقض بين المنظومتين القيميتين ، وهذا يحدث في كثير من المعتقدات والديانات والتي تتعارض مع التمدن والتطور العلمي ، غير إن المجتمع العراقي سواء كان في الماضي أم في الحاضر وبحسب منظومته وتشريعاتها وقوانينها ودساتيرها التي لا تقبل بمبدا التعارض ،والتناقض بين المفهومين والشقين ،ولذل فلا مبرر للصراع بحسب فرضية أوجبرن ، صحيح ان هنالك جملة من الترهات والخرافات المتبناة من الكثير من الناس ، لكنها لاعلاقة لها بالشريعة الاسلامية

أما في فرضيته الثالثة في قيم الحضارة والبداوة ، فيرى أنَّ المجتمع واقع بين نظامينِ من القيّمِ الإجتماعية: قيمَ البداوةِ الآتية إليه من الصحراءِ المجاورة، وقيم الحضارة المنبعثة من التراث الحضاري القديم، ويفترض الوردي إنَّ المجتمع يعاني صراعاً إجتماعياً، ونفسياً على توالي الأجيال. فهو من جهة لايستطيع أنْ يطمئن إلى قيمة الحضرية زمناً طويلاً، لأن الصحراء تمده بين آونةٍ وأخرى، بالموجهات التي تقلق عليه طمأنينته الإجتماعية، ومن جهة أخرى لايستطيع أن يكون بدوياً كإبن الصحراء، لأن الحضارة المنبعثة من وفرةِ مياهِه، وخصوبةِ أرضه تضطره إلى تغيير القيم البدوية الوافدةِ إليه، لكي يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة. إذ يعد عنصر البداوة مهما في طروحات ونظرية علي الوردي حيث يرفض النظريات التي تعد البداوة مرحلة اجتماعية مرت بها جميع الامم قبل دخولها مرحلة الحضارة ويستنتج بأن البداوة ليست مرحلة ضرورية من مراحل التطور الإجتماعي ، وليس من المفترض على كل أمة أن تمر بها خلال تطورها عبر التاريخ .فهي نظام اجتماعي لاينشأ الا في الصحراء، كما رفض علي الوردي خاصية التنقل وقلة الاستقرار في الارض التي يتم ربطها بالبداوة واعتبره خطأ

يجب تجنبه لانه يشير الى تشبيه البدو بالغجر وسكان الاسكيمو .(وهذا يتنافى ووظيفة البدو هي البحث عن ووضح ، بدا له الماء وتعني ظهر له ووضح له ، ولاح له فذهب عند الماء واستقر عنده ،وهنا يتقاطعون مع الغجر في التنقل والبحث ، إلا انهما يختلفان في وظيفة التنقل والبحث ، فالبدو وظيفتهم البحث عن الماء ، أما الغجر فوظيفة تنقلهم في البحث عن معايشهم بإستعراض فنونهم والتي عادة ما تخالف وتتناقض مع قيمهم التي تمردوا عليها ، حتى بات لوكهم ثقافة وسموا بها).

والملاحظ ان الوردي دائما ما يركز على بداوة العرب ، ويكأنهم يمثلون السلوك البدوى الاول فلذا تراه دائما ما يوصفه بأنهم نتاج البداوة ومنتجيها ، ولهذا فقد قسم العالم العربي الى ثلاثة أقسام :

١- وجود الحضارة والبداوة جنباً إلى جنب ، فتسيطر الحضارة تارة والبداوة تارة أخرى ، كما في العراق والأردن والشام وتونس والجزائر والمغرب واليمن . والصراع في هذه البلدان كبير وفي العراق أشد.(ولا نعلم لم التركيز على بداوة العراقيين ؟ علما ان المجتمع العراقي مجتمع حضري بالمعنى اللغوي والاصطلاحي ،ولا وجود للبدو جغرافيا الا النزر اليسير ، وأما موضوع السلوك والانحرافات السلوكية ، فلماذا يجعل مقايسته دائما السلوك الغربي ؟ وهل المراد من ذلك الارتقاء بمجتمع يبحث عن ركائز ومقومات الاسره التي فقدها بعلمانيته المتوحشة ؟،وأما مقاربته مع إبن خلدون فالرجل لم يتحامل على البادية والبدو ، بل ذهب ال ان المجتمعات القائمة تقوم على عادات وتقاليد العصبية والجاهلية المذمومة بالنص القرآني والنبوي،والحال ينطبق على أهل مكة قبل الاسلام فهو مجتمع مدني ولكن نعت بالجاهلي كون الحضارة التي يعيشها ويتبناها حضارة انحرفت عن القيم الحنيفية الابراهيمية ، كما وأد البنات ، واشاعة الزنا والخمور، والغصب والاعتداء فضلا عن الطبقية المقيتة).

٢- تكون البداوة أشد وأكثر تأثيراً من الحضارة . ولهذا فالصراع فيها ضعيف لا يظهر إلا في نطاق ضيق جداً . ويشمل هذاا الكلأ والماء ن لان تسمية البدو جاءت من الجذر بدا وتعني ظهر ولاح

لصنف نجد والأحساء والعسير وليبيا ، والجزء الصحراوي من الجزائر وعمان والقسم الجنوبي من مصر (الصعيد) .

٣- الصنف الثالث هو الذي تكون فيه الحضارة أقوى أثراً من البداوة ، وأكثر تغلغلاً في الحياة الإجتماعية . ولا ينطبق ، برأي الوردي ، إلا على الوجه البحري أو القسم الشمالي من مصر .

وفي قراءته لمكونات الحضارة في العراق وأسباب ضمورها وأنتعاشها يرى أن الحضارة تتميز بوجود الدولة فيها ، بينما تتميز البداوة بوجود العصبية القبلية (وماذا يقول في مملكة كندة في الجزيرة العربية، بل ان الجزيرة العربية بحجازها ويمنها كانت موطن للحضارات والدول). وأن العراق شهد في حقب كثيرة من تاريخه ظهور دول قوية تعمل على إنماء الحضارة فيه ، ولكن تلك الحقب لم تدم طويلاً ، إذ سرعان ما تحل الفوضى والنزاع كما في العهد العثماني (وهل العثمانيون بدو وهل الفوضى بسبب اهل العراق ن أم بسبب الانحلال والتفكك الذي عاشته الاسرة العثمانية الحاكمة ؟). وبقي العراق متأثراً بالصحراء اذ لا يفصل بينها وبينه فاصل من بحر أو جبل . وبقيت الصحراء العربية من أعظم منابع البداوة في العالم. (وهذا التفسير فيه الكثير من التجني على حضارة المسلمين ، فماذا يسمي تلك الحضارات التي تفتكك بالملايين من البشر كما القنابل الذرية في هيروشيما وناكازاكي، والجزائر وغيرها الكثير ؟ وماذا يقول عن حضارة الحروب البايولوجية ونظرياتها اليموغرافية في كيفية الحد من الانفجار السكاني ؟).

حاول علي الوردي في نظريته للبداوة ايجاد فرضية مناسبة لتفسر هذه الظاهرة ليصل الى فرضية التغالب حيث يرى ان الثقافة البدوية تتكون من :

١- العصبية: هي الرابطة التي تربط الفرد بقبيلته ، ويحصل منها على ما يقوّم حياته . فهي التي توفر له الأمن والحماية في مجتمع الصحراء الذي يحتد فيه الصراع على البقاء.(وهذا الرأي من غير الممكن إلصاقه وإلباسه البدو والبادية ،فالعصبية دائما ما تشكل هوية الكثير من الافراد والجماعات

في معتقداتهم وايديولوجياتهم ، ولذا تشاهد تلكم الصراعات الدينية ،والمذهبية ،والعرقية والطائفية والتي تمثل اليوم الوجه الحضاري لمدنيتنا المعاصرة. فكيف نحسر العصبية في بيئة جغرافية دون غيرها ؟).

٢- الغزو: تكون المنافسة على المكانة العالية في القبيلة تتحدد بالشجاعة والقوة والبأس في القتال فالحياة في الصحراء لا تحتمل الضعيف الجبان الذي يبقى ذليلاً محتقراً في قومه.(وماذا يسمى الاستعمار بوجهيه القديم والحديث واحتلاله للبلدان والشعوب ، كما فعلت وتفعل الولايات المتحدة ؟ فهل هذا تحضر وذاك غزو؟!!).

٣- المروءة : هي الصفة التي تضفي على شخصية البدوي صفات الشهامة ونجدة الضعيف أو حماية من يلجأ إليه في حالات السلم . كما أنه يقري الضيف ويساعد الجار أو المسافر بأقصى ما يستطيع.(هنا الوردي لم يلتفت الى جملة من الاضداد والتناقضات ، والتي لايمكن ان تجتمع ، كما لايمكن الجمع بين المروءة واللامروة ،فالسجايا التي جبلت عليها النفوس الزاكية تستقبح القبيح ، وتستحسن الحسن ، فالأعتداء والسرقة والخيانة كلها خلاف المروءة ، واذا كان لابد من جمعها كما هو ديدن البراجماتية والنفعيون ، فعليه ان لايفوّق بينهم وبين البدو).

اما صفات الرجل البدوي فأنه يجب أن يكون (نهّاباً وهّاباً) أي تقاس شجاعته بغنائمه التي يحصل عليها من الغزو والنهب، وبمقدار كرمه وبذله للآخرين، لذلك يصبح البخل دليلاً على الجبن والضعف ، لأن الشجاع لا يبخل . إنه واثق بأنه سينال بشجاعته غنائم أخرى ينفقها في خدمة ضيوفه واللاجئين إليه.

يحاول علي الوردي إثبات نظريته هذه (التغالب) من خلال استشهاده بأبيات من الشعر الجاهلي مثل قصيدة عمرو بن كلثوم التي يتفاخر فيها بالشجاعة وطعن الخصوم ثم يعرّج على التفاخر ببذل الطعام للآخرين. ويبدأ في تحليل شخصية البدوي حيث يقول : البدوي يحب أن يكون غالباً لا مغلوباً في كل شأن من شؤون حياته، إنه يريد أن يغلب بقوته وقوة قبيلته ، ويغلب بمروءته. لهذا كان من الصعب على البدوي أن يكون موضع عطف أو رعاية أو تفضل من قبل أحد . فذلك يعني في نظره دليلاً على الهوان والضعف. وعلى النقيض من ذلك ، نراه يشعر بالفخار حين يأتيه أحد يطلب منه فضلاً أو حماية، فهو يعد ذلك من علامات القدرة والمكانة في المجتمع. إن نزعة التغالب تسيطر على شخصية البدوي وتجعله ينظر في كل الأمور حسبما توحي إليه . إنه يود أن يكون ناهباً لا منهوباً ، معتدياً لا معتدى عليه ، معطياً لا قابضاً، مقصوداً لا قاصداً ، مغيثاً لا مستغيثاً ، مجيراً لا مستجيراً ، قادراً لا مقدوراً عليه ، حامياً لا محمياً ، مسؤولاً لا سائلاً ، مرجواً لا راجياً ، مشكوراً لا شاكرا.(إن البداوة ،وكما يرى جملة من المشتغلين في الحضارات والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا ،بأنها ألاصل الاول للبشرية(كجيوثقافية) ، وهذا لم يتضح حتى في الاحفوريات ، غير ان مبانيهم وافتراضاتهم تقوم على وفق تخمينات لرؤى وتصورات اولئك الباحثين ،فالتقسيمات لمراحل التطور الانساني ، كما عند اوجست كونت(كومت) الى لاهوتي وميتافيزيقي ووضعي علمي ، وشاطره في ذلك لويس مورجان في تقسيماته للمراحل الانسانية الى متوحشة وبربرية ومتحضرة (متمدنة) ، فقد صوروا الانسان الاول وجدنا الاعلى بإنه وحش كاسر في خضم الخرافات والاساطير ، ثم لاحقا وصل الى مرحلة الآدمية . إن هذه الطروحات تشكل خرقا وتعديا على العقل الانساني ، والذي صنع الدنيا بذلك التراكم المعرفي المتوارث والمتعاقب ، ، ولذا نرى الوردي الذي يسير بهذا الركب الاكاديمي للمدرسة الاجتماعية المادية لايلام ، كونه استقى زؤاه ومعارفه من هذا الاتجاه ، غير ان هنالك إتجاه آخر يرى إن الانسان الاول كان عاقلا عارفا ، فلولا العقل الانساني القائم والمرتكز على الفطرة الانسانية لما وصلت الحضارة الى ما وصلت إليه . والشبهة الاخرى المطروحة ، بأن العرب دائما ما يوصمون بالبداوة ، وبالتالي تنسحب هذه التهمة على ديانتهم الاسلام ،ولذا نجد أغلب المستشرقين ومن مشى بركبهم على الدوام ينعتون المسلمين بالبرابرة والبرابرة المحمديين ويعنون بها المتخلفين والهمج ، علما ان البرابراة مفردة تعود الى العرق والقومية والامة البربرية والذين يشكلون الجزء السكاني الكبيرفي شمال افريقيا ، وبهم دخل المسلمون بلاد الاندلس اسبانيا(شبه الجزيرة الايبيرية) ، وحضّروها ،ومدّنوها وكان على رأ الجيش الاسلامي البربري والقائد الاسلامي طارق بن زياد ، وفضلا عن ان ابن خلدون موضع دراستنا هو بربري

، واطروحة الدكتوراه للوردي هي عن ابن خلدون ، فالتقسيمات للمراحل الثلاثة بحسبهم تستهد مجتمعات بعينها . أما موضوعة ان الاسلام بدوي فهذا غير صحيح ، فكل الاديان وخاتمه الالام لم تنزل في بادية ، بل جاءت ونزلت في المدن ومنها مكة الحاضرة المدنية ، فهي كانت ولاتزال مركزا للتواشج والتلاقح والتواصل الحضاري ، فرحلتي الشتاء والصيف الى الشم واليمن المذكورة في القرآن الكريم في سورة قريش ، فهي تعكس السمة المدينية لذلك المجتمع الذي امتاز فكره بالجدل واللجاج والمحاججة المعاندة التي اخرجته من الحنيفية الابراهيمية ، مما استدعت الضرورة الالهية بان يبعث النبي محمد (ص) لتصحيح ذالك المسار ، وهذا ينسحب على كل الاديان ،والانبياء ،فوظيفة الانبياء والاديان تصحيح الانحرافات المجتمعية المدينية ، وهذا يتحقق في المدن لافي جغرافية تفتقر الى الانسان والافكار، كما يذهب الى ذلك الكتور طه حسين في كتاب الادب الجاهلي).

وحول قضية النزعة الدينية في البداوة ، أن هؤلاء يقيمون التدين البدوي من خلال معاييرهم الحضرية . ويعزو التدين في معناه الإجتماعي العام إلى وجود ثلاثة أركان هي : ١- العقيدة ٢- الشعائر ٣- الأخلاق . ويرى أن الركنين الأولين من التدين واضحان فيهم، أما من حيث الركن الثالث أي الأخلاق فهم قد يختلفون فيه عن الحضر . فمن جانب نجدهم ذوي صدق وعفة وأمانة ، ومن جانب آخر نجدهم ذوي عصبية وثأر وغزو واعتداء ، وهي أبعد عن الأخلاق الدينية. (إن تقسيم الاسلام الى الى دين بدوي شعبي ، وآخر حضري رسمي ليس صحيحا ،فاذا إرتكب الانسان أوجماعته مخالفة للتعاليم الاسلامية ، فهل هذا يعني انهم ابتدعوا دينا جديدا نسميه شعبيا او بدويا ؟ فالاسلام وكما ذكرنا سلفا لايجمع التناقضات والاضداد ، فكل سلوك تخالف تعليماته هي انحراف عنه ولاتمت اليه ببنت شفة).

ويشير علي الوردي الى الصراع الثقافي في العراق، حيث يرى انه من دون التعمق في تحليل ودراسة جذور هذا الصراع لا نستطيع ان نفهم بنية المجتمع العراقي حيث ان العراق بلد مفتوح على الصحراء مما يساعد في توافد القبائل اليها ومحاولة التفاعل مع السكان الاصلين وان لكل منهما عاداته وتقاليده وقيمها المختلفة عن الاخرى مما يؤدي الى حدوث تاثير متبادل يؤدى الى حدوث ما يسمى بالصراع الثقافي .(اذا اردنا تطبيق هذه القاعدة ، فالمفروض هي شاملة لكل الحاضرات في المجتمع الانساني ، فكل المدن تكونت من جملة من الوافدين اليها من محيطها القروي والقبلي، او من هجرات خارجية فرادى وزرافات ، وهذا هو ديدن المدنية وما زالت . وماذا يسمي الصراعات البروتستانتية الكاثوليكية في بريطانيا وفرنسا ، فضلاعن الكثير من الصراعات الاثنية والدينية والمذهبية في العالم المتحضر كما يسمونه ؟ إذن اذا كان هنالك إشكالية صراعية فليست منفردة في مجتمعنا ، بل هي نتاج منظومات قيمية سببت هذه الصراعات .

بعدها ينتقل الوردي في تقسيمه العراق بحسب التصنيف الجيوثقافي الى :-

١- المنطقة الجبلية : التي يسكنها الأكراد ، وفيها أقلية تركمانية تسكن في مدن وقرى واقعة في خط مستقيم تقريباً ، هو الخط الذي يكاد يفصل بين هذه المنطقة وبقية مناطق العراق . وفي المنطقة أقليات دينية مثل الغلاة واليزيدية وبعض الطوائف المسيحية . وتأثرت هذه المنطقة بالقبائل الجبلية أكثر من القبائل الصحراوية. (لم يذكر منهم الغلاة ، واذا كان المقصود بالشبك والكاكائية ، فتهمة الغلو جاءتهم من جملة من الباحثين والكتاب القدامى والمعاصرين ، وهي تهم لا اساس لها من الصحة في حقيقتهم وواقعهم وهم موجودون بين ظهرانينا ،والتحقق من عقائدهم أصبح في متناول يد الباحث عن الحقيقة، اما ما يشاع ان في العراق وفي شماله هنالك جماعة وفئة (العلي الهية) ، وهذا محض افتراء فلا وجود لهكذا جماعة الا في بعض الموضوعات والمدسوسات من الاخبار وفي بعض الكتب والمصادر، ومن أفواه البعض الذين يأخذون ما يتقوله الاخرون بدون التثبت من حقائق الامور ومصاديقها ، فلا وجود لهكذا جماعة تعتقد بالوهية علي ، بل من نسج خيال بعض الاقلام التي حاولت تشويه وتحريف العقائد الدينية عند غيرهم .

٢- منطقة ديالى : تقع جنوب المنطقة الجبلية إلى الشرق من بغداد . وهي منطقة لها أهمية اجتماعية واقتصادية على الرغم من صغر حجمها، وهي منطقة زراعية تشبه من بعض الوجوه غوطة الشام ودلتا مصر . وقد امتاز سكانها بأنهم أقرب إلى قيم الحضارة من جيرانهم . فهم لا يستنكفون من زراعة الخضر . وهذا أمر له دلالة إجتماعية لأن زراعة الخضر تعد حرفة (وضيعة) في العرف القبلي.(وهذا كان موجود عند اغلب مزارعي الحنطة والشعير في شمال ووسط وجنوب العراق ، وهي اليو قد اختفت فكل المزارعين بدأوا يزرعون ما يحلو لهم ، وحتى عمل الحائك (حياكة العباءة الرجالية والعقال) فهي اليوم غير مستهجنة فهي تدر أموال كثيرة (الملاحظة بالمشاهدة) ، والواقع ان هذه السمات لم تكن معيارا للتحضر من عدمه ، بل هي معيار لاهمية الغلات ، وهذا ما نلاحظه اليوم ، إذ ان الكثير من الشعوب قد إستبدلت زراعة القمح والشعير والرز بالفراولة وغيرها، مما جعل هذه البلدان تستورد غلات القمح والشعير والرز ، بعد ان كانت تصدرها ، فالعراق اصبح يستورد كل شيء بعد ان كان من المصدرين لافخر انواع الرز).

٣- منطقة الجزيرة : هي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات إلى الشمال من بغداد . وهي شبه صحراوية ، وتعد من الناحية الجغرافية امتداداً لبادية الشام. والقبائل التي تسكنها أشد تمسكاً بالقيم البدوية من القبائل الجنوبية ، إذ أنها أقرب منها عهداً بحياة الصحراء . فلهجتها قريبة من اللهجة الصحراوية ، كما أنها تعتنق المذهب السني السائد في صحراء العرب . أما القبائل الجنوبية فهي شيعية في الغالب .(ويربط علي الوردي الى ان التشيع من العلامات التي تؤكد قدم السكنى في العراق ، اذ أن أكثر القبائل البدوية أخذت تعتنق مذهب التشيع بعد مجيئها إلى العراق بزمن قصير أو طويل أمثال قبائل تميم والخزاعل و زبيد وكعب و ربيعة والخزرج والجبور وبنى

٤- لام . ويعلل هذه الظاهرة الإجتماعية بأن الظروف النفسية والإجتماعية التي تحيط بالقبائل هي التي جعلتهم يتأثرون بالدعاية الشيعية القادمة من المراكز الشيعية مثل الحلة والنجف وكربلاء ، والتي تبعث بالخطباء والدعاة في مواسم محرم وصفر ، وجذب الزوار إليها لزيارة المراقد المقدسة لأئمة أهل البيت (ع)).

البدوية . وقد سماها الباحث الأنثربولوجي هنري فيلد إسم (البقعة غير القبلية) . ويبدو أن طبيعتها البستانية قد أثرت فيها تأثيراً يفوق ما حدث في ديالى

وقد تطرق الدكتور شاكر مصطفى سليم في دراستهِ الرائدة (الجبايش– دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق)، وجد بأنَّ السلطة الأبوية لها حريةٍ مطلقةٍ في التصرف في ثروة العائلةِ، وله الحقَّ في أن يطرد أو يطلق زوجته في أيِّ وقتٍ يشاء، وله الحقَّ في الإحتفاظ بالإبناء لديه (شاكر مصطفى سليم ، ١٩٧٠، ص ٧٧).(إن السلطة الابوية الذكورية هي ثقافة مجتمعية انسانية ، ولم يكن المجتمع العراقي بمعزل عن تلكم السنن والحضارات ، وأما موضوع القيمومة الزوجية ، فهي منوطة بعقد الزواج المبرم بين الزوجين المتعاقدين والذي على وفقه تحدد القيمومة، وإن إشترطت الزوجة القيمومة وبالتراضي فلها ذلك ، وهذا ما تتفق عليه كل الكتب الفقهية السنية والشيعية ، مع ملاحظة ان الزوجة في المجتمعات المسلمة دائما ما تسمى باسم أبيها ، بخلاف ثقافة المجتمعات الغربية، فالمرأة بعد الزواج تسمى باسم زوجها)

٥- منطقة الصحراء : هي منطقة واسعة تقع إلى الغرب والجنوب الغربي من العراق . ولم تكن جزءاً من العراق قديماً ، ولكنها أعتبرت جزءاً منه في العهد العثماني لأغراض إدارية . وهذه المنطقة ذات طابع بدوي شامل ، وليس فيها من الصراع الثقافي إلا قليل .

٦- المنطقة الرسوبية : وتشمل وسط العراق وجنوبه . وهي أكثر مناطق العراق أهمية من الناحية الإجتماعية والتاريخية . وأن القدماء إذا ذكروا العراق عنوا به هذه المنطقة ، وهي المنطقة التي احتضنت الحضارة ، وتحمل مقوماتها إذا ما ازدهرت الزراعة فيها .

٧- منطقة البصرة : تقع أقصى جنوب العراق ، وتضم مزارع النخيل الكبيرة . ويمتاز سكان هذه المنطقة بأنهم أضعف من غيرهم في العراق في نزعتهم القبلية وفي تمسكهم بالقيم

في دراسةٍ للدكتور عبد الجليل الطاهر عن الشخصيةِ العراقيةِ، وما ينتابها من قلقٍ بسبب صراع إنتماءاتِ العراقي المتعددةِ كالأسرةِ والمحلةِ والقبيلةِ والطبقةِ والطائفةِ، إذ يشعرُ الفردُ العراقيُّ الذي ينتمي إلى هذه الولاءاتِ القوقعيةِ، بالطمأنينةِ وبالولاءِ العميقِ داخلِ إطارِ تلكَ القوقعةِ بينما يتبادل العلاقات السطحيةِ المؤقتةِ الطارئةِ خارج ذلك الإطار.كذلك بسبب نقلِ الولاءاتِ القوقعية القديمة إلى الحركات السياسية والإجتماعية والثقافية. كذلك بسبب عدم ثبات سُلَّم الولاءاتِ في وجدانِ الشخصيةِ العراقية، ومن ثم بسبب الإنعزال الإجتماعي، فإن هذه القوقعة تعزل الشخصية لأنَّها بَذَرَتْ في وجدانها فيهم من التحيزاتِ والتعصباتِ التي هشمت المجتمع إلى أجزاءٍ متهاويةٍ، فضلاً عن المتناقضات التي تحصل في المجتمعِ حين يقفزُ الفردُ من مستوٍ قوقعي إلى مستوٍ آخر حتى صارَ من الصعب حقاً معرفة الإنتماءِ والتشابكِ ونقاط الإنطلاق (معن خليل العمر ،١٩٩٠ ،ص ٩٣ – ٩٦). (وهذه الثيمة الاجتماعية تجدها في كل المجتمعات وابنيتها السياسية والاجتماعية ، فالكثير من سياسيي النظم الشمولية والديمقراطية تبرز عندهم هكذا قواقع ،فتجدهم يوظفون أقاربهم في هرم السلطة بصرف النظر عن التخصص والكفاءة ، كما في زوجة الرئيس الفرنسي السابق ساركوزي ، و- كوشنير- صهر الرئيس الامريكي الحالي دونالد ترمب).

إذ أنَّه في خضمِ التغييراتِ التكنولوجية التي تجتاح العالم اليومَ وإنعكاساتها على التأثير في المتغيرات الثقافية والإجتماعيةِ، وتقريب ثقافات الشعوب وإطلاعها على بقية الثقافات ومنها المجتمعاتِ المحليةِ في المدنِ، إذ نلاحظ أنها تتجاوب مع التغيرات الثقافية والإجتماعية، بسرعة ملحوظة فاقت التغيراتِ في الأسرة الريفية الموجودة في المناطق الأم التي قدموا منها، على الرغم من خلفيتها الريفية، مما يشير إلى أن الحياةُ الحضريةُ قابلةٌ للتغير الثقافي أسرع من مثيلتها في الريف، نظراً لمرونةِ العاداتِ الإجتماعيةِ وتفاعلاتِها مع عناصر الحضارةِ الجديدةِ، مقابلَ بُطء التغيرّ في الحياةِ الريفيةِ وذلك نظراً لشدةِ وقوةِ نظامِ القيمِ والعاداتِ الإجتماعيةِ، لاسيما مظاهر التغيرّ الثقافيّ المتفاعلةِ في عصرنا الحالي. (انس ناجي البلداوي ، ٢٠١١ ،ص ٩٩). (وهذا التحليل لايتماشى مع الواقع المعاش اليوم ، فالريف في العراق وبصرف النظر عن مستوى بنيته التحتية، فقد دبت به سرعة التحولات الثقافية ، وأعني التحولات المادية القائمة عل مثل وسائل التواصل الاجتماعي ، والتي يراد لها ان تكون هي القيم السائدة).

العراقيون والازدواجية: هل تعد الازدواجية ظاهرة اجتماعية؟، أم هي سلوك يتقمصه الفرد في تنشئته الاجتماعية ويجبل عليه ؟ ، يذهب الوردي على انها ظاهرة موجودة في كثير من المجتمعات البشرية، وهي قد تكون ضعيفة أو قوية تبعاً لتفاوت الظروف في كل مجتمع. وسببها وقوع المجتمع تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم ، فيضطر بعض الأفراد من جراء ذلك إلى الإندفاع وراء أحد النظامين تارة، ووراء الآخر تارة أخرى. فهم يناقضون أنفسهم دون اكتراث ظاهر. والفرد العراقي جزء من هذا المجتمع البشري الذي يعاني من هذه الظاهرة بشكل كبير ، فهو يهيم بالمثل العليا والدعوة إليها في خطابه ومجادلاته وكتاباته ، ولكنه في الوقت نفسه من أكثر الناس بعداً عن تلك المثل في سلوكه وواقعه. وهنا لابد من الإشارة إلى الإختلاف الواضح بين تعريف إزدواجية الشخصية لدى علماء النفس وعلماء الإجتماع . فالإزدواجية تعتبر من الناحية النفسية مرضاً نادراً يعتري بعض الأفراد . وهذا المرض شذوذ في تكوين الشخصية حيث يتقمص صاحبه شخصية معينة تارة ، وتارة شخصية أخرى . ويدعى أيضاً بإنقسام أو فصام الشخصية. أما إزدواج الشخصية بالمعنى الإجتماعي فهو ليس مرضاً نفسياً ، بل هو ظاهرة اجتماعية . ويحدث لدى كثير من الناس الذين يعانون صراعاً ثقافياً . وقد تسمى هذه الحالة بـ(الثنائية الثقافية) . ويفسر بعض علماء الإجتماع هذه الظاهرة بأنه عندما يتعرض الفرد لمطاليب ثقافات اجتماعية متناقضة ، لاسيما في مراحل نموه الأولى ، قد لا يتمكن من تكوين شخصية متكاملة في نفسه . فهو يحاول أن يوفق بين تلك المطاليب المتناقضة دون جدوى . ولهذا فهو قد يصبح ذا شخصية مزدوجة قليلاً أو كثيراً. النزعة الجدلية في الشخصية العراقية يعلل الدكتور علي الوردي هذه الظاهرة بأن العراقيين يميلون إلى الجدل والولع به . وأن النزعة الجدلية قوية في الشخصية العراقية (علي الوردي، ١٩٦٥ ،

ص٥٤ .) وهل الجدل سمة من سمات اهل العراق ؟ وهل ككان الوردي يقصد الشخصية العراقية بكل تنوعاتها العرقية والدينية والمذهبية ؟ وكما اسلفنا في عرضنا لموضوعة الجدل وكيف كان المجتمع المكي وقتذاك مجتمع جدلي ، ان الجدل يكون نتيجة صراع ثنائيات ثقافية ، فهو مجبول بالفطرة الانسانية ، فالصراع بين الشر والخير قائم ولايزال ،وهو موجود في كل المجتمعات وما تبني المعتقدات والافكار وغيرها الا هي نتيجة احد الصراعين الداخلي الذاتي والخارجي ، ومن مصاديق عالمية الجدل قوله تعالى في سورة الكهف آية ٥٤ ,, ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا,, صدق الله العظيم .).

ثانياً/ بنية المجتمع العراقي في منظور سيار الجميل (سيار الجميل ، ٢٠٠٩، sayyaraljamilco)

يناقش فيه الثقافة الاجتماعية تركيب بنية المجتمع العراقي من خلال مفهوم الثلاثية الاجتماعية العراقية وهي المدينة والريف والبادية أن هذه الثلاثية ، تعد واحدة من ابرز الظواهر المترسخة في وجدان الناس حتى في اللاوعي ، اذ يجد كل عراقي نفسه وهو يحمل ميراث ما تربى عليه من اعراف وتقاليد وقيم معينة طوال حياته ، ولا يمكنه ان ينفصم عنها ابدا، ان ابن المدينة لا يمكنه ان يكون ريفيا ، ولكنه تأثر في الخمسين سنة الاخيرة بقيم التزّيف العراقي في كل المدن، وخصوصا العاصمة والمدن الكبيرة ، لم يكن ابن المدينة يستخدم الا لهجته التي تّربى عليها ، ولكنه بدا اليوم وقد تأثرت لغته بالكثير من التعابير غير المألوفة في مدينته ، وتأثر ذوقه ايضا ، واختلف كثيرا عما كان سائدا في منطقته ، ولم يعد المرء يقف على لهجات بغداد القديمة مثلا سواء تلك التي كانت في الكرخ ، ام في قسمات الرصافة ! ان الاختلاط بين عناصر ثلاثية المجتمع ، لم تجد نفسها متناسقة في توزيع الأدوار ، ووحدة المواقف ، وانسجام الرأي نظرا لاختلاف ليس العادات والتقاليد فقط ، بل اختلاف التفكير واساليب الحياة بين طرف وآخر ، فكان ان نتجت فوضى واسعة في القيم والسلوكيات ، ناهيكم عن عهر القيم السياسية التي سادت في العراق منذ خمسين سنة ! ان اختلاطات منكرة قد حدثت في المجتمع العراقي الذي حكمته المستويات والطبقيات والاختلافات على امتداد تاريخ طويل ، وفجأة يجد المجتمع نفسه يعيش ارهاصات غاية في التوحش .

وتعد الاعتبارات الاجتماعية التي تنضجها المستويات الثقافية ، من أهم العناصر التي يتعامل معها أي مجتمع تعاملا يوميا ، رسميا وشعبيا كونها عنوانا ورمزا ودليلا للإنسان ، والأسرة ، والعشيرة أو القبيلة ، وأي جماعة في المجتمع ، وأنها أداة وضرورة للتفاهم ليس في زمن معين ، بل تبقى ملازمة في حالتها لازمان متعددة مضت ، ولقد اتخذت لها عدة مناح تتصل بالدين تارة ، وبالقومية وبالقبيلة ، أو العشيرة ، وبالطائفة ، والمهنة ، والمكان ، وبالهيئة الخ أنها مرة زينة للإنسان ووعاء له ، ومرة مجلبة للمتاعب والمصاعب ، وخصوصا في مجتمعاتنا في منطقة الشرق الأوسط .

على الرغم من كون العراق يمثل بنية جغرافية متراصة جغرافيا ، ولكنها متشكلة من انساق متنوعة ومتعددة لا حدود لها. والنسق لا يقتصر على شكل معين، بل على مضمون واحد أو عدة مضامين – كما تقول أفكار ميشيل فوكو وهذا ما لم نجده في ثقافات أخرى. هذه الأنساق لم تجد نفسها بين يوم وليلة، بل لها امتداداتها في أعماق الزمن البعيد، لكي نجد بقاياها وبعض رواسبها حاضرة حتى يومنا هذا بأشكال ومضامين متنوعة ، وتجسدها عادات وتقاليد لمكونات اجتماعية ربما تتعايش معا في الظاهر في مدينة واحدة ، ولكنها تتباين على اشد ما يكون التباين في الباطن. إن طعام البدو هو غير ما يأكله ابن الريف ، وكل منهما لا يعرفان أبدا اكلة الدولمة العراقية التي تجيدها نساء المدن !

البعض يعدون ثقافتنا العراقية جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية الواسعة، فلماذا كل هذه " الخصوصية " والتأكيد عليها؟ ويتساءلون: الا يعد ذلك خروجا عن سياق التكوين الثقافي في العراق ويؤسس لشعوبية(هي بحسب معاجم اللغة وما ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : ان أصل كلمة الشعوبية مشتقة من كلم شعب وجمعها شعوب وهو الجيل من الناس وهو أوسع من القبيلة. ويبقى التساؤل لماذا أعطيت هذا البعد الطائفي المذهبي المغلف بغلاف عرقي ؟) جديدة؟ وإنني أجيبهم قائلا بأن عليهم أن يتعرّفوا على معاني كل من الخصوصية والشعوبية ، ويتأملوا طويلا في ألوان ثقافة

العراقيين التي تعتبر تواريخها وجغرافياتها مستقرا للثقافة العربية كلها منذ أزمان وأزمان، ولكن ثمة خصوصيات تمتلكها الثقافة العراقية مع اعتزازنا بالعروبة وبثقافتنا العربية، ولكن لو قورن العراق بغيره لوجدنا ثمة ثقافات عديدة تنتشر في العراق منها ما يعود إلى آلاف السنين لأقوام لم تزل تزاول ثقافتها في الكنائس والأديرة والمعابد التي يعود تاريخها إلى القرن الأول لميلاد السيد المسيح، ان تعبير " الشعوبية " استخدم طويلا وكثيرا في العراق ، واليوم ينفر منه عدد كبير من العراقيين كونهم يعتبرونه تهمة باطلة ، واذا كنا ندرك بأن هذا " المفهوم " قد استخدم في كلّ من العراق والاندلس ، وان الاندلس قد ازيلت من التاريخ منذ قرون ، ادركنا بما لا يقبل مجالا للشك ان " الشعوبية " اقترنت باولئك العراقيين الذين ينكرون العروبة أو يتنكرون لها ، ويشتمونها ، ويحّطون من شأنها كونهم يرتبطون بمشروع مضاد للعرب تاريخهم ووجودهم !

ان المجتمع العراقي لم يكن كله عربيا ، بل هو متلون على اشد ما يكون التلوين ، وبالرغم من ان العرب يشكّلون مادته الكبرى ، الا ان الطيف العراقي يجمع عدة ثقافات قديمة ومستحدثة وطارئة في كل فجواته وبيئاته، وبقدر ما تلون المجتمع تاريخيا ، بان تلون ثقافته جغرافيا قد اكسبه درجات هائلة من القوة والانشداد، وخصوصا ايام التحديات التاريخية الكبرى ، ان الثقافة العربية في العراق تكاد تكون هي الطاغية على كل المرافق والميادين ، بحيث انضم اليها باستخدام اغلب او كل اساليبها اغلب الوان الطيف العراقي ، بل كانوا وما زالوا ـ مثلا ـ يستخدمون الاسماء والالقاب والكنى العربية، ان الثقافة العربية في العراق قد تراوحت بين ضعفها وتطورها نسبة الى درجة قوة المجتمع وعلو حضارته او خفوتها بين عهد وآخر ، او بين جيل وآخر ، اما بالنسبة للبيئة الجغرافية ، فاننا نجد ان أي ثقافة اجتماعية من ثقافات العراقيين وقد تلونت بلون البيئة التي تطورت فيها على ايدي ابناء تلك البيئة الجغرافية :

ثقافة نهرية ، ثقافة جبلية منعزلة ، ثقافة استبس ، ثقافة صحراء بدوية ، ثقافة اهوار وبحيرات ، سهول زراعية، ثقافة بساتين من نخيل ورمان واحماض واعناب ، ثقافة مدن وعتبات وحضرات انبياء واولياء مقدسة، ثقافة مدن بمستويات عدة، ثقافة ما وراء المدن مهمشة واقصائية ، بل تكون في بعض الاحيان محتقرة لاصناف من الطرداء والنازحين وهناك منهم الكاولية والقرج والنَوَرْ (الغَجر) ! ، وهناك ثقافة نهرية لدجلة للصابئة المندائيين ، أو ثقافة لليهود العراقيين وكلتاهما لم تزل حية ترزق حتى يومنا هذا من دون الآخرين منذ آلاف السنين ، إذ أن ثمة تقاليد ثقافية عراقية يتميز بها اليهود العراقيون ومازالوا يتشبثون بها حتى وهم في إسرائيل(وأين اسم الارض الحقيقي فلسطين والذي يشكل العمق التاريخي والديمغرافي والوجداني للعرب والمسلمين ، وأين موضوعية الباحث ؟ ولماذا يعتمد النج والمعلومات التوراتية والتلمودية وتواريخها والتي أثبت كذبها الباحثون اليهود أنفسهم ، فليراجع ما دونه الباحث العراق فاضل الربيعي في كتابه اورشليم ليست القدس ، للوقوف على العديد من الاركيولوجيات والوثائق التي تؤكد فلسطينية فلسطين وعروبتها واسلاميتها). ، وهناك لغة وثقافة كردية عراقية لها تميزها وخصوصياتها البهدينانية او السورانية ليس على مستوى تقاليد الناس حسب بيئاتهم الجبلية ، ومثلها ثقافة مسيحية واضحة لكل من الكلدان والآثوريين والسريان الآراميين متدرجة بين المدن والبلدات ، أو في ريف نينوى ، وثمة ثقافة تركمانية لها خصوصيتها وعراقتها وخصبها في ثنائيتها المدينية والريفية ، ثمة ثقافات مغلقة لدى كل من اليزيدية في أطراف الموصل على جانبي دجلة ، أو الشبك في قرى الموصل الشرقية ، والمعدان في اهوار الجنوب، والأرمن في كل الموصل وبغداد.

أي أن هناك ثمة تباينات واسعة في ثقافة العراقيين العرب من منطقة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى، كل هذا وذاك لانجده في أي مجتمع عربي مهما بلغت به التنوعات ، ولنأخذ لبنان مثلا في المشرق ، أو الجزائر في المغرب، فمن الضرورة أن تعترف الثقافة العربية نفسها بأن الثقافة العراقية هي المصدر الأول لمواريثها قاطبة منذ آلاف السنين، وينبغي على العراقيين أن يدركوا أن تنوعات ثقافتهم هي سر جماليات تلك الثقافة ، علما بأن العراقيين قد تأثرت ثقافاتهم بكل من الإيرانيين والأتراك في العصر الحديث كثيراً ، كما هو حال

بقية الولايات العربية التي بقيت في ظل حكم الامبراطورية حتى القرن العشرين . واذا كانت تلك " الولايات " قد تأثرت بالعثمانيين ، فان المجتمع العراقي قد تأثر في اقسام منه بالثقافة الايرانية المتاخمة له تماماً شرقاً ، بل وكانت كل من وعليه، فان بنية المجتمع العراقي يختزن ثقافات متنوعة في داخلها ، وهي مخصبة وفاعلة تعمل على الأرض ، وهي متعايشة برغم انعدام تجانساتها، إن الأنساق الثقافية العراقية غير متجانسة أبدا(اذا كانت غير متجانسة فكيف ترابطت عضويا)، ولكنها مترابطة مع بعضها البعض ترابطا عضويا ولا يمكنها أن تنفصم أبدا، فالنسق لا يمكنه أن يحيا لوحده من دون ترابطه بالنسق الآخر. دعونا نتوقف قليلا عند الأنساق المتباعدة، إذ أجد ثمة افتراقات واسعة داخل بنية المجتمع العراقي كانت سببا في إنتاج تناقضاته التي لا تنضب أبدا، وهي بحاجة إلى سياسات مجّردة من كل ميول ، أو اتجاهات، من كل ما يتعلّق بتعاطف قبلي ، أو بيئي ، أو جهوي، لنعترف ان ليس هناك أية انسجامات ثقافية بين ثقافات المدن والريف والبادية . من طرف آخر، ينبغي ان نعترف أن ليس هناك انسجامات بين ثقافة عرب الشمال عن عرب الجنوب ، وبين ثقافة ابناء الجزيرة الفراتية عن أبناء الفرات الأعلى ، عن أبناء الفرات الأوسط ، عن أبناء الجنوب ، بل لنعترف -إن أسرار قوة الثقافة العراقية في ألوانها ومصادرها وطبيعة تكويناتها ومنتجاتها لأجزاء جغرافية طولية ثقافة شرق دجلة اللواحقية التعددية وثقافة ما بين النهرين الأساسية والمختلطة وثقافة غرب الفرات البدوية ، ولم يزل مصطلح ، أو تعبير " الغربية " ساري المفعول لدى قسمات العراق الجنوبية . إنني أرى بأن انساق العراق الاجتماعية متلازمة من خلال الربط الجغرافي المحكم لوادي الرافدين، وعلى أشد قوة من التلازم بسبب المصالح المشتركة، ولكن أجد تخلخلاً في الانسجامات الثقافية بين بيئة عراقية وأخرى، بل يكاد ينعدم الانسجام بين منطقة وأخرى، لنعترف بأن ليس هناك انسجامات ثقافية في أسلوب حياة العراقيين(ان سيار الجميل بتقسيماته المجتمع العراق الى ثلاثية الريف والبادية والمدينة حاول ان يؤشر بحسب اعتقاده الى ما غفل عنه الوردي بإهماله الريف ولم يدّه ثلاثية ، وهذا في الحقيقة لم يكن تناسيا بل هو مقصود من الوردي الذي عدّ الريف العراقي هو الامتداد السلوكي العثمانية قرابة اربعة قرون ، أي منذ القرن السادس عشر ايران والاناضول مصدرا لعدد كبير من النازحين الذين استوطنوا العراق منذ مئات السنين .

والثقافي الى البادية بحسابات النظم القبائلية ، وهذا فيه شيء من التساهل ، فالثقافة الريفية تختلف بشكل كبير عن الثقافة البدوية، غير إن سيار الجميل حاول أن يخرج العراق عن إسلاميته شأنه شأن الآخرين ، وهذا لايصح في ابحث والمنهجية الموضوعية، فالمجتمع العراقي متأثر ومتجذر فيه الاسلام ثقافة وحضارة ، وهذا التأثير قد إنسحب على كل الجماعات غير الاسلامية التي تتقاسم واياه هذا الوطن ، وهذا ما يؤكده سيار بقلمه ويؤكد على إن اليهود العراقيين لايزالون الى اليوم وهم في فلسطين يتميزون بثقافة عراقية خالصة ، وهنا يبرز التساؤل من اين جاءت هذه الثقافة العراقية الخالصة المشتركة ؟ علما انه دائما ما يركز على الجانب العروبي، وهذا صحيح ، لكن المفروض ربطها وحسب نسقية الفرنسي فوكو وترابطها النسقي العضوي بالاسلام ، واذي شكل ذلك النسق . بل هو بدأ وحاول أن يقحم مفهوم الشعوبية محاولا الايهام بإن هنالك جزء من العراقيين وهم الاكثرية السكانية يكرهون العرب والعروبة ، ولاأدري من اين استقى معلوماته ، علما ان هذه الاكثرية تتفاخر بأنسابها العربية وامتداداتها الحجازية اليمانية وتفتخر بتاريخها الاسلامي المحمدي ، مع العلم ان موضوع صراع القوميات والاثنيات والعرقيات والاديان والمذاهبعادة ما تثار لتحقيق اهداف واغراض سياسية مرتبطة بمشاريع تقسيمية في عالمن الاسلامي والعربي ومنهما العراق ، ولاجل تحقيق هكذا مشاريع ، فيجب الضرب على وتر ذلك التنوع والتعدد ، وكما في الموضوع الكردي العربي في العراق ، ومحاولة التشجيع والحث على مشروع الدولة الكردية ، وكذلك في اثارة بالصراع السني الشيعي بعد٢٠٠٣ ، وكذلك في إذكاء الصراع الاسلامي المسيحي في مصر ن ان إذكاء هذه الصراعات يتم بواسطة ما تسمى النخب وتهيأ لذلك مؤسسات ومراكز بحثية فضلا عن الجامعات الغربية وتوابعها ، وحتى في الجزائر فهم يثيرون الصراع العرقي بين البربر والعرب محاولين وكما أشرنا سلفا إذكاء

مشروعهم التقسيمي والذي منهجه لاحقا بعد سايكس بيكو الصهيوني برنارد لويس ، وقد نشره في مجلة البنتاجون الامريكية عام ١٩٤٨ ، وهذا ماتم ويتم العمل عليه ضمن مشايع الدساتير الموضوعة للبلدان التي تسير في ركبهم ، ان وصف الجميل بان هذا التنوع والتعدد ينفرد به العراق دون غيره ، فهو مردود جملة وتفصيلا فالتنوع هو سنة الهية ، وهو في كل المجتمعات البشرية بل هنالك ما يتجاورز العراق فعلى سبيل المثال لاالحصر ماذا ما يقول في التعددية الثقافية والعرقية والدينية واللغوية الهائلة في الهند ؟ والمستغرب عند ذكره الاديان يأتي على ذكر المسيحية واليزيدية ولم يأت على ذكر الاسلام ، فضلا عن إنه يربط الاقليات الدينية ويعد الشبك يمثلون اقلية دينة الى جانب اليزيدية ن علما انه ابن الموصل وفي القرن الواحد والعشرين ، ويعلم حق اليقين ان الشبك مسلمون سنة وشيعة ن وعندما يأتي الى الاكراد يقول ان لهم لغة وثقافة ،وكيف ذلك واكراد العراق يتكلمون اربع لغات ولا احد يفهم الاخر ، فكيف يوحد ثقافتهم في حين يصر على الاختلاف الثقافي بين عرب شمال العراق وجنوبه ، ثمة لماا الاصرار على ان اللهجة البغدادية قد اضمحلت وإندثرت ، وهل كانت هذه اللهجة هي نفسها قبل العثمانيين الطورانيين والانجليز ؟ فاللغات بجملها طرات عليه جملة من التغييرات ودخلت في قواميسها ومعاجمها جملة من المفردات والالفاظ ن بإستثناء اللغة العربية التي حافظت كينونتها وديمومتها بالقرآن الكريم ، فهي اغنى اللغات في جذورها ال(١٦٠٠٠ جذر) فضلا عن مفرداتها التي تجاوزت اقرب اللغات منها بإثنا عشر ضعفا إذ بلغت اكثر من اثنا عشر مليون مفردة ,, لفظة,, وهذا بحسب اليونسكو بيوم اللغة العربية في ١٧-١٢-٢٠١٢وقد أشار احد المختصين باللغة العربية بإ مفرداتها تجاوزت الخمسين مليون مفردة وهذا يعود الى غناها في الاشتقاقات التي تميزها عن بقية اللغات الفقيرة بالجذور والالفاظ والاشتقاقات.). .

ثالثاً : إبراهيم الحيدري وسلطة النظام الابوي في المجتمع العربي(ابراهيم الحيدري،٢٠٠٣، ص٤١-٤٢):- أشار الحيدري في كتابه : النظام الابوي وإشكالية الجنس عند العرب ؛ والصادر عن دار الساقي البيروتية عام ٢٠٠٣: الى الهيمنة الابوية الذكورية في المجتمع والسلطة حيث يشكل النظام الابوي – البطريركي بنية إجتماعية وسيكولوجية متميزة ومتجذرة في الذاكرة الجمعية تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع في العالم العربي وتكون علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع واللاعقلاني التي تتعارض مع قيم الحداثة والمجتمع المدني واحترام حقوق الانسان نتجت عن شروط وظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية وعبر سلسلة من لمراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية المترابطة فيما بنها حيث ترتبط كل مرحلة منها بمرحلة تسبقها حتى تصل الى مرحلة النظام البطريكي الحديث الذي هو نمط معين من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي السابق على الرأسمالية الذي يختلف في بناه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن بنية النظام العربي البطريكي الذي اتخذ نوعا متميزا باعتباره مجتمعا تقليديا يقابل المجتمع الحديث الذي يتصف بالتقدم العلمي والتقني الذي اتخذ نوعا متميزا باعتباره مجتمعا تقليديا يقابل المجتمع الحديث الذي يتصف بالتقدم العلمي والتقني الذي من خصائصه قابليته على مقاومة التغير لبنيته الاصلية منذ العصر الوسيط حتى الان وقابليته على الاستمرار للحفاظ على قيمة التقليدية كالانتماء الى القبيلة والطائفة والمنطقة وارتباطه بالبيئة الصحراوية التي افرزت نظاما ابويا بطريركيا ذكوريا سيطر على المنطقة العربية قرونا عديدة ولايزال .

واذا كانت اغلب المجتمعات السائدة في العالم اليوم ، ديمقراطية كانت ام اشتراكية ام رسمالية أو غيرها ، وهي مجتمعات أبوية بطريركية ، فان المجتمع العربي هو اكثر ابوية من غيره .

وعلى الصعيد الاجتماعي يهيمن النظام الابوي على العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تغلب عليها الانتماءات القبلية والطائفية والمحلية ، لان المجتمع الابوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها انماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم . وهو لذلك يشكل بنية نوعية متميزة تتخذ أشكالا مختلفة من بينها بنية المجتمع الابوي العربي، الذي هو أكثر ذكورية من غيره من المجتمعات واشد تقليدية وأكثر محاصرة لشخصية الفرد

وثقافته وترسيخا لقيمة واعرافه الاجتماعية لتقليدية وتهميشا للمرأة واستلابا لشخصيتها ، لانه ذو طابع نوعي وخصوصية وامتداد تاريخي يرتبط بالبيئة الرعوية الصحراوية والقيم والعصبيات القبلية التغالبية . فمن المعروف ان العالم العربي هو أعظم موطن للبداوة مثلما هو أكثر مناطق العالم تأثر ومعاناة في الصراع بين قسم البداوة وقيم الحضارة ،كما اشار له علي الوردي ، ذلك الصراع الذي مايزال يؤثر في بنية الثقافة والشخصية العربية (ذهب الحيدري بان الهيمنة الابوية الذكورية التي تقوم على اللاعقلانية ، والمتعارضة مع قيم الحداثة ، هي سمة من سمات المجتمعات العربية باجمعها ، ولا اعرف ماذا يعني باللاعقلانية ظ ن وهل هنالك مجتمعات امومية ؟ في الواقع لاوجود لمجتمعات غير أبوية ، لكنها متفاوتة بنظامها الابوي ، صحيح هنالك مجتمعات سمي بالامومية كما حلا للانثروبولوجيين والاجتماعيين تسميتهم مبتنين ارائهم على بعض التخمينات والافتراضات ، فمثلا عند مشاهداتهم لمجتمعات تتسمى بأسماء امهاتهم كما عند الطوارق ، تراهم يقطعون بلا ابويتهم متجاهلين سلطة الاب الطوارقي في العمل والبيت والرعي والزراعة وتوفير الاحتياجات الاسرية وما الى ذلك من الامور المتعلقة بالاب ، وحتى في الغرب فأي سلطة امومية أو مشتركة في الاسرة ؟ وأين الاسرة وهم يشكون فقدهم النظام الاسري شكلا ومضمونا ،وهم الان يحاولون العودة الى اعادة البنية العائلية ، بعد أن تفشت الاباحية الجنسية للذكران والاناث ،فضلا عن تفشي الشذوذ الجنسي اللواط والذي يمونه بالمثلية والذي ثبت على انه نوع من انواع الزواج !!! ، وقد فرض على مجتمعاتهم وعل كنائسهم في تشريعات وقوانين تحمي هذا السلوك المنافي حتى للبهيمية ، وهنا يرد تساؤل في هذه الاسرة الشاذة أي النظم يجب العمل به أهو البطريركي أم الامومي ؟!!! . أما فيما يتعلق باتهام تلكم المجتمعات الابوية باللاحداثوية معتمدين المعيار التقني، فماذا يقول الحيدري عن المجتمع الصيني الابوي الذكوري وهو اليوم الاول عالميا تقنيا وحداثويا ؟ وماذا يسمي التجربة الماليزية في الحداثة , علما انه مجتمع اسلامي بغالبيته ، فهل هو مجتمع انوثي امومي ؟ ، ان الوقائع اثبتت ان التمدن والرقي العلمي والتقني ، والحداثي لايخضع الى نوعية النظم الاسرية بمقدار تعلقها بالنظم السياسية الحاكمة ، وأما ديمومة هذه النظم فهي ضرورة اعتمادها المبادئ القيمية والاخلاقية .وعليه فقد لوحظ ان النظام الابوي هو النظام السائد في المجتمعات الانسانية بصرف النظر عن الاختلاف البيئي والثقافي).

الفصل الثالث / التنوع الديني والمذهبي في العراق:

أولاً / المسلمون والتعددية المذهبية(التسنن والتشيع):

المجتمع العراقي شأنه شأن المجتمعات الانسانية التي تتسم بالتنوعات العرقية والدينية ، والمفروض ان هذا التنوع والاختلاف الذي هو سنة إلهية ، أن يضفي الى تلكم المجتمعات صيرورة ثقافية من سماتها التعايش، وقبول الاخر على إنه الاخ في الانسانية، إن لم يكن أخ في الدين، والمجتمع العراق ومنذ تشكيلته ونشأته الاولى وهو يحمل بين ثناياه ذلك التنوع العرقي والديني ،والذي انتج تعدد قومي ،ومذهبي ، وعلى مبدأ سنن الاختلاف والذي هو رحمة كما ورد في الحديث النبوي ، وبما ان المجتمع العراقي مسلم بغالبية اكثر من (٩٥٪) ، والتي تشعبت الى فرقتين الشيعة والسنة وهما بدورهما تنوعا الى مذاهب وفرق ، غير ان هذا التنوع المذهبي يجمعه من المشتركات ما نسبته (٩٨٪) ، وإن النسبة الباقية ٢٪ هي التي اولدت تلك التعددية. ان الحديث حول التشيع والتسنن في العراق هو حديث حول طائفتين إسلاميتين تشكلتا لأسباب تاريخية معينة، خضعت كثيراً للمناقشة من قبل الباحثين, كما ان هاتين الفرقتين شكلتا النسبة الأكبر في المجتمع العراقي. مما جعل من يعرف المجتمع العراقي, يعرفه بأنه مجتمع مسلم , رغما من تواجد الأقليات الدينية الأخرى.

- **التشيع:**

ورد في معجم القاموس المحيط للفيروزآبادي إن التشيع لفظ يتصل بكلمة: شيعة: (وشيعة الرجل – بالكسر – اتباعه وانصاره ،.وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً واهل بيته حتى صار اسماً خاصاً لهم , وجمعها أشياع وشيع) (كامل مصطفى الشيبي،٢٠١١،ص٩).

كما يتفق صاحب كتاب الميزان العلامة محمد حسين الطباطبائي في كتابه (الشيعة في الاسلام) مع كل من

الفيروزابادي والشيبي في هذا الرأي.الا انه تاريخياً يختلف مع النوبختي في مسالة بداية تشكل الشيعة حيث يرجع العلامة بداية تأسيس الشيعة الى زمن الرسول(ص) نفسه. حيث يقول بما هو نصه : **(**الى انه يجب ان نعلم ان بداية نشوء الشيعة, سنة, من البعثة النبوية, أدت الى ظهور مثل هذه الطائفة بين صحابة النبي الأكرم، وهو اول اسم ظهر في زمن النبي أسم الشيعة , وقد أشتهر كل من سلمان وابي ذر والمقداد وعمار بهذا اللقب.ا(محمد حسين الطباطبائي،٢٠١٠،ص١٩)

وعليه يمكن القول ان تسمية (الشيعة) هي تسمية تطلق على ثاني أكبر طائفة اسلامية ، وهم الذين عرفوا تاريخيا بشيعة علي أو أتباع علي. الا انه غالبا ما يشير مصطلح الشيعة إلى الشيعة (الاثني عشرية) لأنها الفرقة الأكثر عددا, على اعتبار ان الشيعة هي فرق متعددة فمنها ما ظهر في التاريخ واندثر, ومنها ما يزال باقي الى اليوم , مثل الزيدية(وهم الذين يعتقدون بإمامة زيد بن علي السجاد بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ويختلفون عن الشيعة الاثنا عشرية الذين يرون بإن الامامة هي بمحمد الباقر وليست لأخيه زيد، والزيديون اليوم يشكلون غالبية مسلمي اليمن " مقابلة مع احد الاخباريين") والاسماعيلية(وهم يعتقدون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، بخلاف الاثني عشرية الذين يقولون بإمامة اخيه الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وقد تفرع من الاسماعيلية النزارية والمستعلية ومنهم البهرة ، والدروز، وهم اليوم يتواجدون في الهند وفي نجران بالحجاز وفي سوريا ولبنان)، والعلويون "النصيرية"(وقد اتهمت هذه الطائفة اتهامات كثيرة ونسب اليها الغلو والانحراف والمروق ، وكل هذه التهم باطلة ومزيفة ولاأساس لها من الصحة ، فهم مسلمون شيعة جعفرية اثنا عشرية غير انهم يختلفون مع الاثني عشرية الحاليون بنيابة الامام المهدي في غيبته الى محمد بن نصير النميري وقد سموا بالنصيرية نسبة اليه ، والاختلاف حوله فالامامية الاثنا عشرية يرون النيابة في عثمان بن سعيد ، ومحمد بن عثمان الخلاني، والحسين بن روح ، والسمري ، وجميعهم مدفونون في بغداد وقبورهم شاخصة. علما إن هذا الخلاف لايعد خلاف عقائد ولافقهي ، فهو خلاف يقوم على أساس الموثوقية الرجالية من عدمها ، وهذه متفق عليه عند الجميع ففي كتب الرجال والجرح والتعديل يحصل الخلاف على احد الرواة ومدى موثوقيته في الفرقة الواحدة نفسها ، فهذا القدح بالرواة لايعطي المسوغ باتهام طائفة من المسلمين بالكفر والزندقة ، عما ان العلويين الاثنا عشرية يشتركون مع الاثنا عشرية حتى في الفقاهة والاصول وفي الكتب الروائية الاربعة المعتمدة عند الشيعة ، وهم اليوم يتواجدون في تركيا وسوريا ولبنان ويقدر عددهم حوالي العشرين مليون نسمة . " الملاحظة بالمشاهدة ومقابلات مع إخباريين ").

كما يرى الشيعة (الاثني عشرية) أن علياً بن أبي طالب هو , وأحد عشر إماما من ولده (من زوجته فاطمة بنت النبي محمد(ص)هم أئمة مفترضو الطاعة بالنص السماوي سورة المائدة الاية ٦٧ (يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك،....) وهم المرجع الرئيسي للمسلمين بعد وفاة النبي ص، ويطلقون عليهم اسم الأئمة المعصومين، الذين يجب اتباعهم دون غيرهم طبقا لأمر من النبي محمد في بعض الأحاديث مثل: حديث المنزلة، وحديث الغدير، وحديث الخلفاء الاثنى عشر، وحديث الثقلين المنقولة عن النبي محمد بنصوص مختلفة والذي يستدلون به على غيرهم من خلال وجوده في بعض كتب بعض الطوائف الإسلامية التي تنكر الإمامة! ومن هذه الأحاديث حديث الثقلين والذي نصه : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي, أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

ويشترك الشيعة مع جميع فرق المسلمين بالاركان الاسلامية ، التوحيد والنبوة والمعاد ، الا انهم يضيفون اليها الامامة والعدل. لذلك يعتقد الشيعة بأن المذهب الشيعي أصلا لم يظهر بعد الإسلام (كما يذهب بعض الكتاب المسلمين). ويرون أن المسلم التقي يجب أن يتشيع ويوالي علي بن أبي طالب ، وبالتالي فإن التشيع هو ركن من أركان الإسلام والتي سميت لأول مرة بشيعة علي (أول إمام من أئمة أهل بيت النبي ص), كان في زمن النبي الأكرم , فظهور الدعوة الإسلامية وتقدمها وانتشارها خلال ثلاث وعشرين

الأصيل وضع أساسه النبي محمد(الا ان البعض يذهب الى غير ذلك) (احمد محمود صبحي ، ١٩٩١، ص١١٦) نفسه، فعندما نزلت الاية الكريمة (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية (البينة/٧). ورد في تفسير الطبري بأن علي وشيعته خير البرية.

كما يعد حادثة يوم غدير حينما حج النبي(ص) حجة الوداع , هو من اهم الأدلة النقلية (احمد محمود صبحي،١٩٩١،ص١١٦) لدى الشيعة – لان الشيعة فضلا عن ذلك يعتمدون الادلة العقلية على قضية الأمامة, وهو الامر الذي يذكر جملة من علماء الشيعة منهم الصدوق في كتاب كمال الدين واتمام النعمة - التي يعتمدها الشيعة في صحة امامة الامام علي(ع) ، حيث جمع المسلمين وكانوا أكثر من مئة ألف ، على ان النبي قد أعلن الولاية لعلي من بعده حيث ورد في الحديث بعبارات مختلفة أن انه قال: من كنت مولاه فعلي مولاه, اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه.والشيعة الاثنا عشرية تنقسم الى الاصولية ، وهم الغالبية والتي ترى بأن مصادر التشريع هي الكتاب والسنة والاجماع والعقل ، ويقولون بالاجتهاد في استنباط الاحكام والفتيا بخلاف الاخباريين الذين يرون ان لاداعي للاجتهاد وان استنباط الفتاوى منوط بالكتب الاربعة " الكافي للكليني، والاستبصار والتهذيب للطوسي، ومن لايحضره الفقيه للصدوق"وهم اليوم يشكلون الاقلية بالنسبة للشيعة ويتواجدون في البصرة والاحساء والقطيف والبحرين ، ومنهم خرجت الشيخية نسبة للشيخ احمد الاحسائي ، وهم الان في البصرة ، وقد وقعت احداث وصراعات في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين افتعلت بين الاخباريين والاصوليين راح ضحيتها الكثير، وكفّر بعضهم البعض الآخر لاسباب تافهة ولمصالح ضيقة.

ان الشيعة في العراق ومنذ مئات السنين يتعيشون مع اخوتهم السنّة في محبة ووئام ،الا ان بعض المنغصات التي تثير النزاعات والبغضاء والتي هي من مفتعلات السياسة والسياسيين، ولذا ترى الاشكاليات الطائفية التي افتعلت في العراق في عام ٢٠٠٦ راح ضحيتها الكثير من الابرياء ،لكنها سرعان ما انطفأت شرارتها بعدما انكشفت خباياها واسرارها،ولم يقتصر الشيء بين الشيعة والسنة بل تعداه الى المسيحيين واليزيديين وعمليات التهجير الطوعي والقسري التي حاولت افراغ المجتمع من نسيجه المتنوع والمتآلف ، لخلق بلدان تقوم على الشكل الواحد، وتمكين الكيان الصهيوني بتشكيل دولته على اساس قومي مدعين انتسابهم الدموي الى النبي ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهذا الادعاء زائف وواهن فهم جماعات عرقية متنوعة اعتنقت اليهودية كديانة شأنها شأن الاديان الاخرى.

التسنن:-

أن مفهوم السنة ومراحل تشكله حتى وصوله الى هذا المعنى قد مر بمراحل مختلفة . فالسُنة في اللغة تعني الطريقة. الا ان هذا الاسم استعمل بمعنى الإشارة الى احد الطوائف الاسلامية الكبرى وهي – اهل السنة والجماعة- ومعروفة اختصاراً "السنة" وهي أكبر الطوائف الاسلامية من حيث العدد (الا انها الطائفة الثانية من حيث العدد بعد الشيعة في العراق).

لذلك لم يظهر مصطلح اهل السنة والجماعة (بالمعنى المقصود) دفعة واحدة , بل هو تركيب متأخر في الزمان بين عبارتي (أهل السنة) ,و(الجماعة المسلمين). والمرجح ان تسمية, اهل السنة هو تطوير لعبارة استخدمت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وهي (صاحب السنة), حيث ان اول من استعمل هذا المفهوم هو عبد الله بن مبارك (ت١٨١ للهجرة), وذلك بعد نصف قرن ونيف من المحاولات الأولى التي قام بها العلماء المسلمون لجمع الأحاديث النبوية بدءاً من مساهمة ابن شهاب الزهري(ت١٢٤) (بسام الجمل،٢٠٠٦،ص١٠).

اما عبارة(جماعة المسلمين) فيعود استعمالها إلى الحقبة التاريخية نفسها التي شاعت فيها عبارتا(صاحب السنة) ثم (اهل السنة). ويتنزل هذا الاستعمال في سياق إبراز مقابلة واضحة بين مفهومي (الجماعة)و(الفرقة)(والتي نعتقد هي التي ستكون المعير المحدد والمميز ما بين طائفتي السنة والشيعة , والطوائف الاسلامية الاخرى, والتي ستودي الى وضع حديث الفرقة الناجية).حيث ينقل عن الشافعي(ت٢٠٤) انه قال :((ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد ألزم جماعتهم , ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف

جماعتهم التي أمر بلزومها. و(لزم) الفرقة) (بسام الجمل،٢٠٠٦،ص١١).

وقد تعزز هذا القول بأحاديث نبوية تدعو الى لزوم الجماعة وتحذر من الفرقة، كما كان للبعد التاريخي عامل الفصل في تعزيز هذا المفهوم , وذلك عندما اختلف المسلمون وتباين مذهبهم في الاعتقاد .

لذلك ان مفهوم اهل السنة والجماعة ساد في سياق جدلي عندما انخرطت الفرق الاسلامية في ذلك. وهنا يمكن ان نفهم ان المصطلح (اهل السنة), قد مر بسياقين:

الاول : مصطلح للدلالة على اصحاب الحديث والسنة النبوية والذي يعود مع حركة جمع وكتابة الحديث النبوي في القرن الثاني للهجرة.

الثاني: مفهوم استخدم للإشارة في التميز عن المختلف (عقائدياً),على اعتبار الفروقات الفقهية لم تؤد الى خلق مفاهيم تمييزية حادة, وبقت تدور في فلك ودائرة المذهب الواحد نفسه. واستعمل المفهوم فقط رداً على تسميات اخرى سبقته بالظهور كمفهوم الشيعة.

الا انه رغم ذلك لم يختلف السنة كثيرا عن الشيعة , سواء في اصول الدين او فروعه , بل يقال ان المشتركات ما بين الطائفتين قد تصل الى نسبة كبيرة جداوقدرها مفتي سوريا السابق الشيخ احمد كفتاروباكثر من ٩٨٪, على اعتبار ان مصادر التشريع الاساسية لدى السنة هي نفسها لدى الشيعة. فالقرآن الكريم وسنة نبي(قول النبي وفعله وتقريره) وتحديداً الأحاديث الصحيحة, هي اهم مصادر التشريع في كلا المذهبين. وبقي ان نشير الى ان مذهب اهل السنة من حيث العقيدة ينقسم الى الأشاعرة وهم الاغلبية والمعتزلة – يكاد لا يذكر لهم وجود في الوقت الحالي– ومن حيث الفقه فينقسمون الاربعة مذاهب تبعاً لأئمة تلك المذاهب. وهذه المذاهب هي: ١. المذهب المالكي، نسبة الى مالك بن أنس. ٢. المذهب الشافعي، نسبة الى الإمام الشافعي.(وهو المذهب السائد في شمال العراق والانبار والفلوجة ، والملاحظ ان كل المدن التي يغلب عليها المذهب الشافعي طابعها التصوف وهذا لايعني ان التصوف محسور في الشوافع بل ايضا موجود بين اوساط الحنفية والمالكية علما ان المتوصفة اليوم في العالم الاسلامي يشكلون نسبة ٨٠٪ من المسلمين ، ام الحنابلة ومنهم السلفية فلا يقربون من التصوف، ويعدونه بدعة .

٢. المذهب الحنبلي، نسبة الى احمد بن حنبل(وهذا المذهب لم يشكل الا نسبة ضئيلة في العراق ، علما ان السلفية تعتمده بفقاهتها ومنها محمد بن عبدالوهاب في نجد الذ استلهم فكره من ابن تيمية الذي نشأ حنبلي المذهب ، غير انهما لم يعتمدا الامام احمد لكل ما رواه وذكره ، ولذا جاءت الاختيارية والانتقائية في من الروايات والاحاديث ، والتي انتجت السلفية المتشددة التي اضرت بالوحدة الاسلامية .)،. ٥. المذهب الحنفي, نسبة لأبي حنيفة النعمان.(وهو مايتبعه معظم سنة العراق) (حنا بطاطا ،)(وأحد الاسباب الرئيسة في التسيد العددي للحنفية وانتشاره في العالم الاسلامي ، لان الدولة العثمانية قداعتنقت المذهب الحنفي ، الذي لايرى شرط العروبة القرشية في الحاكمية ،وهذا ما اعطاهم المبرر امام المسلمين لحكم العالم الاسلامي) .

وهنا يجب الاشارة الى ان المكونات العرقية في المجتمع العراقي وغيره من المجتمعات تراها قد تشترك وقد تختلف في معتقداتها الدينية والمذهبية . فالعرب في العراق منهم المسلمون ومنهم المسيحيون ،فالمسلمون منهم السنة ومنهم الشيعة وكذلك بالنسبة للتركمان ، والاكراد(منهم المسلمون السنة ، ومنهم الشيعة وهؤلاء أغلبهم من الشيعة) ومن الاكراد الزرادشتيون وقسم من اليزيديين ، والشبك فيهم السنة والشيعة.

ثانياً / المسيحيون: ان الحديث عن مسيحيي العراق, يتمحور حول اتباع احدى الديانات السماوية الثلاثة (الإبراهيمية). ونعني بها الديانة المسيحية او النصرانية" وهذه المفردة لايرددها اغلب المسيحيين ، ويعدونها من نعوت المسلمين عليهم ، علما ان البابا شنودة انبا الكنيسة القبطية المصرية السابق قد اشار الى هذا المعنى بانه لاضير من هذه اللفظة بل هي فعلا نسبة الى المسيح الذي ولد وترعرع في مدينة الناصرة واليها نسب وكذلك اتباعه" - نسبة لمدينة الناصرة التي ظهر بها يسوع المسيح (عيسى بن مريم"ع") ، وهم يشكلون الفئة الثانية من ناحية العدد بعد المسلمين .

والمسيح هي ترجمة للكلمة العبرية (ماشياح) والآرامية السريانية مشيحو, ومعناها الممسوح أي الانسان المكرس بالمسح بالزيت (بولس باسيم، ١٩٨٦،ص٧٩٤) (والمسيح في العربية من جذر مسح يمسح مسحا وسمي المسيح لانه مسح بالزيت "زيت الزيتون" وهي عادة لكل المواليد عند ولادتهم) , ففي كتاب العهد القديم كان رئيس الكهنة والملك يمسحان بالزيت المقدس فيكرسان بذلك للرب وتحل عليهما روحه. وقد أطلق كتاب العهد الجديد لقب المسيح على يسوع الناصري بمعنى انه مسيح الرب الذي تنبأ الأنبياء بمجيئه لخلاص العالم. استعملت هذه اللفظة كلقب ليسوع ثم ارتبطت باسمه فأصبح يسوع المسيح, وانتهت بأن أصبحت علماً مرادفاً ليسوع/(عيسى), فيقال المسيح بمعنى يسوع الناصري (هنري س. عبودي،١٩٩١، ص٧٩٥).

على غرار القديس بولس(كان اسمه شاؤول وقبره في الفاتيكان بروما ، غير ان الكثير من الاخبار تكر انه دفن فلسطين) بوجوب إعادة تأويل الأمور بوحي من نور المسيح (هنري عبودي، ١٩٩١،ص٧٩٥).على اعتبار ان الديانة اليهودية من ابراهيم إلى الأنبياء مروراً بموسى كانت تمهيداً لمجيء المسيح(ان موضوع التفوق يتعارض والمسيرة النبوية التي من ميزاتها مكارم الاخلاق ، بل ان الانبياء جميعا بعثوا ليتمموا مكارم الاخلاق ، واما بالنسبة الى الصيرورة والديمومة الحضارية فهي بفضل الديانات ، وما انحطاط الحضارات وتقهقرها الا بسبب انحراف المتدينين عن نهج الاديان القويم).

وقد أعلن يسوع/المسيح بأن رسالته السماوية تدعو الى هداية القلوب ,وحب القريب الذي لا يختلف في شيء عن حب الله (الآب). لذلك كانت تعاليم الديانة المسيحية الاولى هي تعاليم اخلاقية بأمتياز. على اعتباران حياة عيسى كانت متوافقة مع تفكيره وظروفه التاريخية والثقافية, التي جعلت

كما كان يسوع يقول انه جاء ليخدم ويقدم دمه لخلاص البشر. وقد قاسى زمن الحاكم الروماني بنطس بيلاطس من العذاب المخصص للرقيق , وقد وسمر(صلب) على خشبة (في مقابلة مع الشيخ محمد مهدي الخالصي ذكر لي بأنه دعي من قبل البابا بولس السادس لزيارة الفاتيكان عام ١٩٧٧ ، إن المسيحية هي الديانة التي أسسها يسوع الناصري(والواقع ان عيسى لم يؤسس لديانة بل هو رسول الله الى اليهود الذين انحرفوا عن شريعة موسى ع ، وان التسمية جاءت في القرن الرابع الميلادي).

فالمسيحية هي امتداد للديانة اليهودية. على اعتبار النبي عيسى قد أعلن أنه المسيح المنتظر لدى اليهود, الذي أرسله الله لا لينقض بل ليتمم الشريعة اليهودية، وهو الامر الذي تؤكده النصوص القرآني على اعتبار ان مسيرة الأنبياء هي مسيرة تكاملية وتقوم على اساس تنوع الادوار ووحدة الهدف.

ويرى المسيحيون : أن المسيح جاء بالبشارة في الإنجيل وفيها تغيير تحديثي مهم جعل مذهبه الأخلاقي والديني يتفوق على ما سبقه فيتمكن من البقاء والتفاعل مع الحركة الحضارية طيلة (الفترة اللاحقة). فالمسيحي هو الذي يعتقد

من تعاليمه ومعجزاته تنبع من واقع تلك الظروف. لذلك نلاحظ ان السيد المسيح كان يمارس السلطات التي هي من خصوصيات الله , كغفران الخطايا , ومحاكمة الضمائر. كما نجد اعتقد على انه هو والله شخص واحد وانه ابن الآب الوحيد(حسب قناعة واعتقاد المسيحيون).إذ كان انسان في تماميته حتى الألم , والإله في تماميته حتى القدرة اللامتناهية (جون هيك واخرون ، ٢٠١٥، ص١٢٢)(وهذه النسبة جاءت لاحقا وتبريرا على ان المسيح قدم دمه تكفيرا لخطايا البشر والذنوب التي ارتكبها آدم ، ولذا فهو خلص البشرية سابقا ولاحقا من الذنوب والعذابات الدنيوية والاخروية ، لذا هم يعتقدون بأن هذا الفداء جعل مأوهم الجنة ،وهذا ما تؤكده اناجيلهم الاربعة التي تؤكد على اللاهوتية متجاهلة الجانب الناسوتي "الدنيوي" وهذا يتعارض والنهج النبوي وتشريعاته التي جاءت لتنظم حياة الفرد والجماعة ، وان سبب هذا الاتجاه المسيحي هو التاثير الروماني الذي عمل على الفصل بين الكنيسة والحياة).

وقد سألت القساوسة والكرادلة ، اذا كنتم قد برأتم اليهود من دم المسيح في مجمعكم الكنسي عام ١٩٦٣ ، فما الحكمة من رفع الصليب وحمله على اجسادكم واتخاذه شعارا ، ألم تنتفي حاجته بعد هذه البراءة ؟!!) . وظهر حياً بعد موته! لرسله وغادرهم بعد وعدهم بالدعم الدائم وطلب منهم ان ينشروا

تعاليمه بين الأمم كافة. وهذا ما قام به بولس الرسول ينشر المسيحية في روما. انتشرت المسيحية في أرجاء العالم – وتحديدا إوربا - رغم مقاومة يهود أورشليم ووثنيي روما لها (المصدر نفسه ،ص٧٩٥) .(هذه الدعوى تكاد تنحسر عند الكاثوليك والبروتستانت ،بأن بولس هو الذي نشر المسيحية في العالم وهذا يتعارض وما تراه الارثوذكسية بأن القديس بطرس له الفضل في نشر تعاليم السيد المسيح).

- المسيحيون العراقيون:

المسيحيون في العراق ,هم ثاني أكبر اتباع الديانات في العراق من حيث عدد الأتباع بعد الإسلام، وهي ديانة معترف بها حسب الدستور العراقي, إذ أنه يعترف بأربعة عشر طائفة مسيحية في العراق مسموح التعبد بها. يتوزع أبناؤها على عدة طوائف ويتحدث نسبة منهم اللغة العربية ، ويعدونه اللغة ألام، في حين أن نسبةً منهم تتحدث اللغة السريانية بلهجاتها العديدة واللغة الأرمنية (رشيد الخيون ، ٢٠١٦ ،ج٢ ، ص٤٥).

احتفظت المسيحية في العراق وعلى خلاف سائر الدول العربية بطابعها الأصلي، فظلت مسيحية سريانية ولم تتعرب بنسب كبيرة كما حصل في بلاد الشام ومصر، وإن كان معظم أتباع هذه الكنائس يجيدون العربية حالياً كلغة تخاطب يومي سيما في المدن الكبرى.(وهذا يؤكد سماحة المجتمعات الاسلامية في التعايش مع الآخر،وهذا ما تؤشره سيرة الاسلام والمسلمين كما في وثيقة المدينة للنبي محمد ص وكيف تعامل مع اليهود والمشركين ، وكذلك في عهد الامام علي الى عامله على مص مالك الاشتر وكيف يوصيه في تعامله مع جميع الناس بالتساوي والتسامح فهما اما اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق . وهنالك من يثير شبهة ان المسيحيين عربّوا قسرا فهذا غير صحيح ، فالمسيحيون شأنهم شأن المسلمين فمنهم العرب وغير العرب، وأما السريان الاراميين ، فبقوا على رقيتهم السريانية وعقيدتهم المسيحية.)

أكبر كنيسة في العراق هي الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية ومقرها ببغداد, تليها كنيسة المشرق الآشورية التي نقل مركزها من الموصل إلى شيكاغو بعد مجزرة سميل (نسبة لقرية سميل في محافظة دهوك) عام ١٩٣٣ في فترة حكم رشيد علي الكيلاني, فضلا عن تواجد للكنيسة السريانية الأرثوذكسية والسريانية الكاثوليكية. كما هناك أقليات أخرى تتبع الروم الملكيين والأرمن والبروتستانت في العراق.

للعراقيين المسيحيين قانون أحوال شخصية خاص بهم، وتعد السريانية لغة رسمية في المناطق التي يشكلون فيها أغلبية في شمال العراق. بالاضافة الى أنه يوجد عدد من الأحزاب السياسية المسيحية, المشاركة في العمل السياسي (رشيد الخيون ، ٢٠١٦ ، ج١ ، ص١٥٠).

لقد ظهرت المسيحية في القرن الأول الميلادي, إذ كان معظم سكان العراق يعتنقون "المسيحية النسطورية التي تعتقد بالطبيعتين الالهية والبشرية أي ان الله خالق كل شيء وان عيسى وأمه مريم عليهما السلام عبدين من عباد الله ،وإن ولادة عيسى كانت معجزة من الله ، وان الله اختاره نبيا لبني اسرائيل . وهذا ما تؤكده النصوص القرانية التي حملها الاسلام الى اهل العراق النساطرة الذين اعتنقوا الاسلام إذ وجدوه الامتداد الحقيقي لشرعة ابراهيم وموسى وعيسى. ومنهم من بقى على مسيحيته ، وكذا الحال بالنسبة الى اليهود والصابئة والزرادشتية فمنهم من اسلم ومنهم من بقي على ديانته يمارس عقيدته وعبادته ويبنون دور عبادتهم وكنائسهم. ويعتقد ان أقدم كنيسة في العراق موجودة آثارها في محافظة كربلاء قرب بلدة عين تمر, وهي تعد من أقدم الكنائس في العالم، فضلا عن كنيسة الميدان ببغداد وكنيسة القيامة بالموصل وغيرها.

واما تعداد نفوسهم فقد وصلت نسبته في إحصاء عام ١٩٤٧ إلى ٣,١٪، أي حوالي ١٤٩ ألف نسمة من إجمالي سكان العراق البالغ عددهم أربعة ملايين ونصف المليون في ذلك الزمن. وفي ثمانينيات القرن العشرين، قُدِرَ عددهم بين مليون نسمة ومليونين من إجمالي سكان العراق. الا ان هذه النسبة قد انخفضت بسبب الهجرة خلال فترة التسعينيات , وما أعقب حرب الخليج الثانية (١٩٩١) من أوضاع اقتصادية وسياسية متردية. كما تسارعت وتيرة هذه الهجرة بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وأعمال العنف التي عصفت بالعراق وأدت إلى هجرة عدد كبير من مسيحيي العاصمة بغداد فضلا عن مسيحيي المدن الأخرى إلى خارج العراق أو إلى شمال

العراق منطقة إقليم كردستان العراق (الموقع نفسه). (وعملية تهجيرهم من العراق واستقبالهم من قبل المنظمات المسيحية ، وفك ارتباطهم ببلدانه الام هو في الواقع مشروع قديم جديد لافراغ هذه البلدان من تنوعها وتشويه صورة الاسلام والمسلمين من خلال خلق تنظيمات وجماعات تحمل اسم الاسلام وتقتل المسلمين وغير المسلمين ، ومن خلالها تم تهجير وقتل الكثير من اليزيديين فضلا عن الكثير من المسلمين بحجة مروقهم وخروجهم عن الدين ، وقد حدث ذلك مع اليهود العراقيين في نهاية اربعينيان واوائل خمسينيات القرن الماضي وكيف عملت المنظمات الغربية والصهيونية وبمؤازرة السلطات العراقية وقتذاك في عملية تهجيرهم من بلدهم العراق الى فلسطين .

-

١- الكلدان الكاثوليك: وهم يشكلون القسم الأكبر من المسيحيين العراقيين، ويقطن غالبيتهم في بلدات الموصل وعموم شمال العراق، مثل تلكيف والقوش وعينكاوا. كما أن لهم حضور واضح في بغداد والبصرة. وكان الكلدان في الأصل على المذهب النسطوري حتى القرن التاسع عشر، ولكنهم تحولوا إلى الكاثوليكية بتأثير عمليات التبشير الأوروبية(والتي بدأ في القرن التاسع عشر مستغلين الضعف الذي دب في الدولة العثمانية ، ولذا نشطت الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية في التبشير والدعوة الى مذاهبهم في بلدان المشرق العربي الذي يتبنى مسيحية تتعارض ومذاهبهم ، فضلا عن انهم بحاجة الى موطئ قدم في هذه المنطقة بعد اتساع حملاتهم الاستعمارية للسيطرة على ملكية الرجل العجوز ، ولا زالوا الى يومنا هذا يبشرون بعقيدتهم والتي ألبسوها اسماء ومفاهيم جديدة لتحقق اهدافهم التبشيرية نفسها). ويتكلمون بلهجة خاصة قريبة إلى السريانية العراقية الفصحى.

٢- أتباع الكنيسة النسطورية العراقية، وغالبيتهم قد نزح الآثوريون النساطرة إلى العراق: من المناطق المحاذية للموصل في جنوب تركيا، والتابعة تاريخياً وسكانياً إلى بلاد النهرين. لكنهم اضطروا إلى النزوح بعد المذابح التي تعرضوا لها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أيادي الآغوات الأكراد والعسكر الأتراك، والتي كلفتهم مئات الآلاف من القتلى والمشردين، وكذلك كلفت الأرمن في العراق معهم حوالي مليون ضحية(هذا الرقم مبالغ فيه). ويختلف الآثوريون عن الكلدان من ناحية المذهب، وكذلك من ناحية طبيعتهم الجبلية، فضلا عن لهجتم الخاصة المشتقة أيضا من السريانية. وهنالك من يعتقد أن تسمية الآثوريين ليس لها علاقة بالآشوريين، بل هي مشتقة من التورانيين أي الجبليين بالسريانية.

٣- السريان الأرثوذكس (اليعاقبة): وهم أتباع الكنيسة السورية، ويقطنون في مدينة الموصل ويشكلون عموماً نخبة حضرية متميزة. وبعضهم تحول إلى الكاثوليكية في القرن التاسع عشر، وسموا أنفسهم السريان الكاثوليك.

٤- الأرمن في العراق: ويعود أصلهم إلى بلاد أرمينيا في منطقة القفقاس التي تقع جغرفياً عند أعالي بلاد النهرين، ومنها ينبع نهرا دجلة والفرات. وقد ظل الأرمن على علاقة تاريخية عميقة مع العراق وظلت هجراتهم إليه طيلة التاريخ. وقد تعرض الأرمن أثناء الحرب العالمية الأولى لمذابح كبيرة في جنوب تركيا قام بها الآغوات الأكراد وأشرف عليها العسكر الأتراك. وقد أُجبروا على الهجرة(والملاحظ ان عملية تهجيرهم اشرف عليها الانجليز ووزعوهم بالاتفاق مع الفرنسيين الى مستعمراتهم في العراق وانتشروا في سوريا ولبنان والاردن ، فقد حقق الانجليز أهداف كثيرة منه ضرب الارثوذكسية ، ومحاولة التغيير الديموغرافي فضلا عن استخدام الارمن وقضيتهم الى اليوم ذريعة للتلويح بها امام الاتراك فضلا عن تحقيق اهداف وغايات اخرى ، لكن الملاحظ ان الارمن عند دخولهم بين المجتمعات الاسلامية في هذه البلدان لم يشعروا بالغربة والخوف ، بل اصبحوا جزء مهم من نسيج المجتمعات المسلمة ، فهم يرفضون العودة الى بلدهم الام)، وكان عدد من دخل منهم العراق ٣٥٠٠٠٠ ألف نسمة، لكنهم مع الزمن قد هاجروا إلى الخارج، ولم يتبق منهم غير بضعة عشرات من الآلاف يقطنون في الموصل وبغداد والبصرة وكركوك. وينتمي القسم الأكبر منهم إلى المذهب الأرثوذكسي، وقليل منهم إلى المذهب الكاثوليكي.

٥- أتباع الكنائس البروتستانتية: وهم عدة كنائس مختلفة، مثل الكنيسة الإنجيلية(وهي اليوم الحاكمة والمتسيدة على هرم السلطة في الولايات المتحدة ومن شروط المرشحين المخفية والمعلنة للترشح للرئاسة هناك ان يكون انجلو سكسوني ، أزرق العينين اشقر بروتستانتي انجيلي ، والانجيلية من أكثر الفرق البروتستانتية تطرفا وميلا الى اليهودية ، ولذا تعد هي المؤسس والمنشئة للحركة الصهيونية ، وما صفقة القرن التي اعلن عنها الرئيس الامريكي دونالد ترامب الا ترجمة لأهدافهم)، يتواجدون في جنوب العراق ووسطه، واليزيديون والكنيسة السبتية وغيرها. وهم عموماً من السريان العراقيين الذين تحولوا إلى البروتستانتية في العصر الحديث، بتأثير الكنائس البروتستانتية الإنكليزية والأمريكية. وهم يشكلون أقلية من النخب(فهم دائما ما يستقطبون هكذا نماذج) في الموصل وبغداد.

ويعيش من الديانت الاخرى كجزء عريق في المجتمع العراقي منهم:-

الصابئة المندائيون المتجذرون في عمق التاريخ العراقي فهم

(الايزيديون) الذين يعيشون في شمال العراق ، والزرادشتيون المتواجدون في شمال العراق ،

ما لم يتحقق حتى في بلدانهم ، كما في التمييز العنصري والاسلام فوبيا وغيرها، فضلا عن فرضهم مفهوم الاندماج بين المكونات بدلا من التعايش الذي تقره وتعمل به الحضارة الانسانية,

الخاتمة:-

خلصت الدراسة الى جملة من النتائج والتوصيات :

النتائج

١. اظهرت ان جل الباحثين العراقيين والمتخصصين بالأناسة والاجتماع ، اعتمدوا المدرسة الغربية التي تقوم على وفق الاتجاه والرؤى المادية ، وهذه الرؤية قد شكلت خللا منهجيا في دراساتهم النظرية والامبريقية لبنية المجتمع العراقي وشخصيته ، اذ ان كل تفسيراتهم قامت على الاسس المادية الصرفة ، فالدين عندهم هو جزء من الثقافة والحضارة ، وبالتالي فالأديان عندهم هي نتاج وصناعة إنسانية ، وهذا ما لايتوافق ونظرة مجتمع الدراسة وبكل تنوعاته الدينية يرى ان الدين بعث ونتاج الهي وحياني .

٢. اثبتت الدراسة ان المجتمع العراقي وحضارته هي وليدة مدنية وليست نتاج بدوي ، وان صفات العصبية والازدواجية وصراع القيم التي توسم بها الشخصية العراقية، لم تكن من مقتنيات المجتمع وموروثاته بل ان كل المجتمعات البشرية تتضح بها وقد تكون عند بعضها اشد وأمر كما في الغرب ومعاييره المزدوجة التي تقوم على النفعية والانانية.

٣. وثبت بالفطرة ان التنوع والاختلاف في الالوان والالسن والاعراق والديانات هي من سنن الاله ، وان هذه الاشكالية المفتعلة بأن حضارة الاسلام التي يتثقف بها المجتمع العراقي غير قادرة على تحقيق الاستقرار الاجتماعي ، وان السبيل الوحيد هو تطبيق النظام الليبرالي الغربي من اجل ذلك ، وهذا

٤. اظهرت الدراسة ان بعض من المفاهيم تؤدي الى معنى واحد ، وان هذا الخلط والفوضى فيها مرده الى الترجمة واهدافها ، كما في العرقية والاثنية والقومية .

٥. أثبتت الدراسة ان هنالك عدم الدقة عند بعض الباحثين في التعريف ببعض الجماعات العرقية ، ومحاولة اعتبارها جماعة دينية مستقلة كما في الشبك ، وهذا يجافي الحقيقة والواقع فالجماعة عرقية شبكية تدين باللإسلام بمذهبيه السني والشيعي.

٦. اثبتت الدراسة ان استهداف الاقليات الدينية والعرقية لم يكن من الاغلبية المسلمة والتي تعيش بين ظهرانيها هذه المكونات بحمية ووئام منذ مئات السنين بل هي من مفتعلات السياسة ومختلقاتها .

التوصيات:-

١. ضرورة اعتماد الدقة والموضوعية والحيادية من قبل الباحثين في دراستهم المجتمع العراقي بمكوناته وتنوعه العرقي والاثني، حتى تنقل الحقائق كما هي ، مع مراجعة ما كتب عن المجتمع العراقي وبنيته وشخصيته ، ومكوناته الدينية والإثنية ، وذلك بتشكيل لجان بحثية من المتخصصين .

٢. التثقيف إعلاميا ومؤسساتيا بمبدأ التعايش والمواطنة الذي تقوم عليه وتؤسس له حضارة المسلمين والذي يحفظ حقوق
٣. الغربي الذي يريد ان يصهر الاقليات في ثقافة وحضارة الاغلبية .
٤. ضرورة اعتماد المنهجية العلمية ولاسيما المنهج الانثروبولوجي الموضوعي القيمي بدلا من المناهج الانثروبولوجية والسوسيولوجية التبريرية والالحادية.
٥. الوقوف على المفاهيم وتخليصها من الضبابية التي تشوبها لغة واصطلاحا ،

الجميع في الدين والقومية بدلا من الاندماج بحسب المفهوم

المراجع والمصادر

القران الكريم

المصادر:

[1]زهرة هادي البرزنجي، الثقافة والامراض النفسية في المجتمع العراقي رسالة ماجستير في علم الاجتماع – الانثروبولوجيا – كلية الاداب ، جامعة بغداد ٢٠٠٩

[2] ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ط٤ (مادة نقد) ، دار الدعوة ، ١٩٧٢

[3]محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ،دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٧٦

[4] محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، بلا ت ، ١٩٧٦

[5] عادل بكر ،صحيفة الوطن القطرية

[6] الفيروزابادي ، ١٩٨٠، ص٢٤٣ ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨ ، ٢٠٠٥

[7] اميل دوركليم ، تقسيم العمل ، ترجمة ، بيروت ،١٩٨٢

[8]مرابط رابح،٢٠٠٩، اثر المجموعة العرقية على استقرار الدول ، دراس حالة كوسوفو ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩

[9] ابن منظور، لسان العرب، المجلد ١٥، ط٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤

[10]عبدالوهاب جعفر، النبوية بين العلم والفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٩

[11] ابراهيم السعافين وعبد الله الخياص ، مناهج تحليل النص الادبي ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ١٩٩٣

[12] عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية

[13]بورون وف ، بوريلو ، ترجمة د سليم حداد ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٨٦

[14] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج٢،م س ذ

[15] سعيد التل، هوية الإنسان في الوطن العربي (تعريف الهوية)، عن الانترنت- شبكة النبأ الإخبارية: **http://www.annabaa.orgnbanews**٦٢٥٠٣ **.htm/**١/آيار/٢٠٠٧

[16] عبدالواحد عبد مشعل،ثنائية البداوة والحضارة وانعكاسها على الشخصية العراقية ، مجلية العلوم الاجتماعية ، بغداد، ٢٠١٢,

[17]شاكر مصطفى سليم ،الجبايش- دراسة انثروبولوجيا لقرية في اهوار العراق ، ط٢، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٠

[18]معن عمر خليل ، رواد علم الاجتماع في العراق ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية ، وزارة الثقافة والاعلام ،١٩٩٠

[19]انس ناجي البلداوي ، منهجية البحث عن الدكتور حاتم الكعبي ، دراسة اجتماعية تحليلية – رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الاداب ، ٢٠١١

[20]علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، دار التربية بغداد ، ١٩٦٥

[21] د. إبراهيم الحيدري، الشخصية العراقية، -البحث عن الهوية عن دار التنوير، بيروت ٢٠١٣، ٣٠/٠٦/٢٠١٣**http://iraqieconomists.net/ar/**

[22] كامل مصطفى الشيبي, الصلة بين التصوف والتشيع, الجزء الأول'ط١, الجمل, بيروت, ٢٠١١.

[23]العلامة محمد حسين الطباطبئي, الشيعة في الإسلام ,ترجمه جعفر بهاء الدين,ط١,دار الولاء, بيروت, ٢٠١٠.

[24] احمد محمود صبحي, نظرية الأمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية,دار النهضة العربية, بيروت , ١٩٩١.

[25]بسام الجمل , الإسلام السني , ط١ , دار الطليعة , بيروت , ٢٠٠٦.

[26]هنري س.عبودي , معجم الحضارات السامية , ط٢, جروس برس , لبنان , طرابلس ,١٩٩١.

[27]جون هيك واخرين, الخلاص المسيحي,ترجمة ديما معلم,ط١,دار المعارف الحكمية, بيروت ,٢٠١٥.

[28] رشيد الخيون ، الاديان والمذاهب بالعراق ،ج٢ ، مركز المسار للدراسات ، دبي، ٢٠١٦